

روايات الميراث

---

فؤاد قنديل

المفتون

Amy

<http://arabicivilization2.blogspot.com>



# دار الهلال

سلسلة شهرية لنشر القصص العربي والعالمى تصدر عن مؤسسة دارالهلال

## الاشتراكات

قيمة الاشتراك  
السنوى (١٢ عددا)  
٦٠ جنيها مصريا داخل  
(ع.م.ج) - تمسدد  
مقدما نقداً أو بحوالة  
بريدية غير حكومية -  
البلاد العربية ٣٥  
دولارا - أمريكا وأوروبا  
وآسيا وأفريقيا ٥٠  
دولارا - باقى دول  
العالم ٦٠ دولارا.

القيمة تمدد مقدما  
بشيك مصرفى لأمر  
مؤسسة دارالهلال .  
بريد الاشتراكات

Email : subscription\_dep@yahoo.com

رئيس مجلس الإدارة

عبد القادر شهيب

رئيس التحرير

مجدى لدقاق

المستشار الفنى

محمد أبو طالب

## الإدارة

القاهرة:  
١٦ شارع محمد  
عز العرب بك (الميتديان  
سابقاً) ت: ٣٦٢٥٤٥٠  
(٧ خطوط)

المكاتبات:  
ص.ب: ٦١ العتبة -  
القاهرة - الرقم البريدى  
١١٥١١ - تلغرافيا: المصور -  
القاهرة ج.م.ع.

تلكس:  
Telex 92703 hilal u n

فاكس:  
FAX: 3625469

مدير التحرير

محمد رضوان

الإصدار الأول - يناير ١٩٩٩

العدد ٧١٢ - أبريل (ثمان) ٢٠٠٨ م - ربيع أفر ١٤٢٩ هـ - برمودة ١٧٢٤ ق

سوريا ١٢٥ ليرة - لبنان ٥٠٠٠ ليرة - الأردن ٢٠٠٠ فلس - الكويت  
١.٢٥٠ ل.س - السعودية ١٢ ريال - البحرين ١.٢ دينار - قطر ١٢ ريال -  
الإمارات ١٢ درهما - سلطنة عمان ١.٢ ريال - اليمن ٤٠٠ ريال - المغرب  
٤٠ درهما - فلسطين ٢.٥ دولار - سويسرا ٤ فرنكات - السودان ٢.٥ جنيه

البريد الإلكتروني:

darhilal @ idsc.gov.eg

ثمان  
النسخة



<http://arabicivilization2.blogspot.com>

# المفتون

سيرة روائية

فؤاد قنديل

دلالة الهلاك



الخطوط للفنان : محمد العيسوي

الغلاف للفنان : عمرو الكفراوي

المتابعة : ياسر شعبان

لست الملاك ولا الرجيم وإنما

بعضى على أرضى وبعضى فى السما

ويلُ لنورِ فى السماء إذا ارتمى

أرضاً وطوبى للتراب إذا سما

شريعة فتحي



## من أنا ؟

ومم خلقت ؟ ولماذا أتصور إمكانية أن يكون شخصى المتواضع رواية ؟  
أنا طبعاً خلقت - مثل غيرى - من الطين أو من التراب والماء والنار  
والهواء، ولست أدرى أى العناصر أغلب ، ربما كان الماء .. فلماذا أنا رواية؟  
هل لأنى عشت نحو ثلثى قرن ( ٢٣٠٠٠ يوم) واستهلكت جبلاً عالياً من  
الأشياء ؟

أظننى التهمت خمس جواميس وملء ترعة صغيرة من السمك ، وألف  
نجاجة ومائتى ديك وعشرين ألف بيضة ، وعشرين عربة نقل من الخضار  
وضعفها من الفاكهة ، وشربت عدة صهاريج من الماء وأربعين ألف فنجان  
من القهوة والشاي ، وبخنت ثلاثين سيجارة، وتجرعت نحو دلوين من الخمر  
، فقد حاولت أن أنحرف وفشلت ، واغتسلت بما يملأ العشرات من حمامات  
السباحة ، ولبست ما يعادل إنتاج مصنع كامل فى يوم ، وتكلمت بما يكفى  
لتشغيل إذاعة طوال عام كامل ، ونمت على الأسرة وتحتها وعلى الأرض  
وفوق الأفران ، وعلى الشجر وفى السيارات والقطارات والسفن والطائرات ،  
وتلقيت الكثير من الطعنات الجسدية والنفسية والسياسية والأدبية .

هل أنا رواية لأنى مشيت على قدمى عدداً من الكيلو مترات يزيد على  
ضعف محيط العالم العربى جميعه من البحر المتوسط شمالاً إلى اليمن  
والسودان وموريتانيا جنوباً ، ومن المغرب على المحيط الأطلسى إلى الكويت  
والإمارات وعمان على الخليج العربى ، بما فى ذلك العراق وسوريا  
ولبنان وفلسطين ؟

هل يمكن أن أكون رواية لأنى كتبت على أوراق تكفى لتغطية ميدان

التحرير ، وأنى تعاملت مع قمم السلطة وعاشرت المشردين والسوقة ،  
وضربت في عدة مظاهرات! خاصة أعوام ٦٨ ، ٧١ ، ١٩٧٢ ، وقبلها وأنا  
طفل عام ١٩٥٠؟ أم لأن لى قصصاً كثيرة لذيذة ودامية مع النساء ؟ .. هل  
استحققت أن أكون كذلك لازدحام حياتى بقصص النجاح والفشل ؟ أم  
بسبب ما تجمع لدى من معرفة هى خلاصة قراءة ما لا يقل عن عشرين ألف  
كتاب ؟ أم بسبب ذلك الكم الهائل من الأحلام التى دأبت على زيارتى فور أن  
يحط جسدى وتتغلق نوافذ الفكر وتتسحب الدنيا من حولى ؟

هل يمكن أن أكون رواية لمجرد أنى زرت نحو عشرين دولة فى الشرق  
والغرب ؟ أم لأنى تعرضت للموت عدة مرات ، وتجرعت كؤوس الخوف  
والفرع شهورا طويلة ، وعشت أسير الأوهام لسنوات ؟

هل أستحق أن أكون رواية لمجرد أن عشرات الكلاب الضارية ، ضالة  
وغير ضالة، من الإنسان والحيوان ركضت ورائى مسافات طويلة ، ونهشت  
أطرافا من روجى وأحلامى وبعد لم تشيع ؟ أم لأنى سقطت من فوق الأبنية  
عدة مرات ، وانقلبت بى خمس سيارات ، وتدرجت من فوق أربع جبال  
وسرقت عشرات المرات وخدعنى الأصدقاء بما لا يحصى ؟

هل يمكن أن أكون رواية لأنى كتاب مفتوح ولا طاقة عندى لحشو أعماقى  
بالأسرار ، ولا احتمال لدى للأحقاد ، فالكون ملك الجميع ، وأنا عصفور ..  
مطالبى محدودة ، لا أسمح لها باجتياح دماغى وكرامتى وسلامى ؟ أم لأن  
ثقتى فى الله بلا حدود ، وتعلقى دائما بوجهه المشرق الممتد بين السماوات  
والأرض ؟

أم لأنى أعشق الحب والحرية والطبيعة والإنسانية وأقدس العمل والجمال  
والخيال ، إذ الدنيا دون كل ذلك غابة ومهزلة ومقبرة وجحر للعفونة ومرتع  
للديدان ؟

هل استأهلت أن أكون رواية لأننى لازلت طفلا يزعجنى الشر والعالم  
الطائش ، وأضطرب .. أحيانا - إذا طلعت على امرأة جميلة فى قميص

شفاف ، وأسيل إذا لمحت دمعة في عين طفل أو أنثى حتى لو كانت عنزة .  
وأفرح للربيع ولا أعبأ بالموت ؟ أم لأننى عشت حياتى أواجه الكذب والجبن  
والقبح والعهر والقهر والعدر والخمول والفهلوة والخيانة .. ولأنى ضد  
السكات إذا الظلم ساد ؟

قد يوهلنى ما سبق لأصبح رواية ، لكننى أكثر من ذلك أو غير ذلك .. أنا  
هذا الكائن الذى يقبع فى الصفحات التالية ينتظر بشغف عيون تأملاتكم ..  
مشغولاً إلى حد الرهبة بالسباق المحموم بين الصدق والفن . بين الحقيقة  
والجمال ، وأتصور أحياناً إنها جميعاً تمتع من نبع واحد .



## خطبة الوعى

أفقت من نومى العميق على لكزة مفاجئة . سمعت أخى الكبير يتساءل مستكراً :

- كيف تنام وعبدالناصر يطلقون عليه الرصاص ؟!

هذا هو اليوم الذى يتعين أن أبدأ به ، لأنى استيقظت فيه من نومى الجسدى ومن شبه غيبوية استمرت لنحو عشر سنوات منذ ولدت . كان ذلك فى أحد أيام أكتوبر عام ١٩٥٤ .

كانت سننى الطفولة مجرد زورق يسبح فوق مياه راكدة بلا ربح ، والعالم من حولى داخل شرنقة من الضباب والغمام والدخان .

لكزة عجيبة ، لازلت أتحرك وأصعد وأهبط وأرضى وأغضب وأنوب توقفا للمعرفة بتأثيرها ومن قوة تحريضها الأسطورية .. هل أنا وحدى من طالته مثل هذه اللكزة ، أم كل البشر ؟ وماذا نكون بدونها ؟

اللكزة الأولى كانت بالطبع عند هبوطى الاضطرارى طازجاً على أرض الحياة المدهشة.

لكزة ١٩٥٤ شقت عيونى ونقرت بقوة على زجاج قلبى وكل جوارحى . تسأل وتفتش . فى محاولة شبقة ومحمومة لتمسك بغير المنظور قبل المنظور . لكزة فجرت ولعاً للمعرفة ومعانقة العالم لاتزال فورته تتنامى وتتأجج ، كالنار فى الموقد كلما ألقىت إليها بقطع الخشب علا لهيبها وأضاعت وبثت الدفء فيما حولها .

كنت تعلم أيها الصبى بشكل ضبابى أن عبدالناصر ، ذلك الشاب المصرى الذى يشبه الحربى المقدسة ، قد اقتحم الفضاء الإنسانى المتكلس وقاد ثورة مع إخوانه ضد الملك وقاموا بتوزيع الأرض على الفلاحين البؤساء

الذين لا يدرك أحوالهم بدقة شباب اليوم .. هؤلاء الفلاحون الذين تمت ملاحظتهم بقسوة الفقر والقهر والحرمان والتنكيل والحصار ، وتم مص دمائهم بشتى الوسائل . غير إنسانى بالمرّة أن ننسى هذه الأوضاع ونحن فى أحضان البيوتزا والكتكاكى والهوت بوج .

لم تكن تعلم أن هناك طبقات متراكبة من السلطة تبدأ من الخفير إلى شيخ الخفراء ثم العمدة وعساكر المركز وضباطه ، ثم مدراء الأمن وكافة أفراد السلطة الرسمية ، وهناك طبقات متراكبة من السلطة الرأسمالية بدءاً من الخولى وناظر العزبة وأولاد الإقطاعى وسائقه وخدامه ، والإقطاعى نفسه، وبعد أن كبرت أدركت ذلك وأصبح من السهل عليك أن تقول :

- ليس من حق أحد أن يتحدث عن الثورة إلا إذا كان يعرف جيد أحوال البلاد قبلها .

كان والدك قد تحدث بدهشة عن رفع الثورة أجور العمال لعشرة أضعاف ، من قرشين ونصف فى اليوم إلى خمسة وعشرين ، وعن توقيع اتفاقية الجلاء ، لكنك ظللت مغرماً بعبارة عبدالناصر الأسرة : «ارفع رأسك يا أختى فقد مضى عهد الاستعباد» .. كما أنك لا تنسى المظاهرات التى كانت تبتلع أمواجها قبل الثورة .

فى الفصل الدراسى تتناهى إلينا هتافات الطلبة الكبار يندبون بالاستعمار وبالملك اللاهى . تقترب الحشود وتعلو الهتافات ، يهدد الطلبة ناظرنا فى مدرسة الشيخ لاشين كى يخرج التلاميذ للمشاركة فى المظاهرة ، قائلين : «اليوم حرام فيه العلم» .. لماذا كنت أفرح بهذه العبارة ؟ وكم فرحت بكل الهتافات حتى اليوم ، فهى حماسية ومسبوكة ولها أجنحة تحلق بها إلى أن تحط فى قلوب المشاركين فيها ، والذين يقبعون بعيداً عنها ، ولعلها تعد بصورة أو بأخرى من الأدب السياسى الشعبى ، ولازلت أدهش لأن بعضها كان يطالب بانقاذ فلسطين من أيدي الصهاينة ، وها نحن بعد هذا الجبل العالى من السنين نهتف أحياناً بمثل ذلك .

عندما يرفض الناظر مؤكداً أن التعليم هو المقاومة الحقيقية وأنه أهم من

المظاهرات، ينهمر الحصى الذى يحطم بعض الزجاج ، فيصدر الناظر أوامره بفتح البوابة لنخرج متدافعين مهللين ، ولنردد خلف الكبار الهتافات ضد المحتلين والنظام الفاسد ، نهتف بحماس زائد بعبارات لا نفهمها ، لكنى إذا لمحت الحاوى ، حوله الجماهير تتابع بشغف الأعيبه ، أترك المظاهرة وأجرى إليه وأندس بين الرجال لأصبح فى المقدمة ، وأتأكد من أنه يأكل النار ويشرب الجاز ، وكم شغلتنى قدرته على وضع المنديل فى جيبه وإخراج الكتاكيت بدلاً منها .. لم أصدق أبداً ، وربما حتى وقت قريب إنها خفة يد ، فقد كنت متنبهاً جداً لحركة يده .

أفهمك فوزى الذى كان يستمع دائماً إلى الرديو أن أحد رجال جماعة الإخوان المسلمين هو الذى أطلق النار على عبد الناصر وهو يخطب بميدان المنشية بالإسكندرية .

دهشت لأن مصرياً يحاول قتل رجل ينفع البلاد .. ولم أكن قادراً فى ذلك الوقت على تصور إمكانية ارتفاع الخاص على العام ، فالفرد ليس أهم من الجماعة ، والجماعة ليست أهم من الوطن .. ولو فرضنا إنه ينوب عن جماعة دينية ، فهل هى ترقى لتمثل الدين ؟ .. ومن الأهم .. الدين أم الوطن؟ ولماذا تتدلع المواجهة أحيانا بينهما ؟

كان لديك إحساس غامض بأن عبدالناصر أفضل من محمد نجيب الذى سمعت بعض خطبه أثناء ركوبه قطار الرحمة ، وهو يقول للناس :  
- تحابوا وتعاونوا .. ومن معه بطانيتان ، فعليه أن يعطى لجاره بطانية ، ومن معه رغيف فليقتسمه مع أخيه .

لم ترق لى هذه الخطب الطيبة ، فقد أحالتنى إلى كلام الشحاذين والمساكين من عابرى السبيل ، الغريب أن معظم أفراد الشعب العاطفى كانوا يضعفون أمام هذه الكلمات التى تفتقر إلى أى حس ثورى أو رغبة عميقة فى التغيير ، وبصرف النظر عن قضية الديمقراطية التى أشعر أحيانا بالتقرزز من سوء استخدامها هذه الأيام ، فإن زهاب نجيب كان أمراً

ضرورياً ، وأتصور أنه كان عقبة على طريق الأهداف المأمولة لشعب تصور  
جوعاً وفقراً وحرماناً .

فعلت اللكزة فعلها فتحولت إلى أذان صاغية ، أتابع عبر الراديو  
الأحداث، وأسلم سمعى إلى باعة الصحف ، وعينى على العناوين .. كان  
على أن أعرف ماذا جرى لعبدالناصر والرجل الذى أطلق النار وتم القبض  
عليه .

لا تنس الأستاذ ناجى مدرس الرسم الذى كنت تستكمل معلوماتك لديه ،  
وكان مغرمًا بقراءة «الأهرام» وأحبتها مثله لأنك كنت تحبه فهو الذى يرعى  
موهبة الرسم لديك ويشحن روحك بالثقة .

بينما كنت أطلع الصحف بحثاً عن السياسة والأحداث التى تحمحم  
كالخيول الهائجة ، وألتمس الوهج البارق فى مواقف عبدالناصر لفتت نظرى  
كتابات من نوع آخر تتسم بالطلاوة والجمال والجاذبية ، ساعدنى الأستاذ  
ناجى على قراءة بعضها ..

تدرجياً - ومع الأيام - اجتذبتنى وإن لم تبعدننى عن الرسم ولعب  
الكرة.

شهد أكتوبر عام ١٩٥٤ أيضاً زيارة جدى لأمى . حسين الجمل ، قادماً  
من بسيون ومعه جدتى وخالى مصطفى الذى يفيض قوة ورجولة ، يتبعهم  
صبى يحمل على رأسه قفصاً كبيراً به ديوك ضخمة لها مناقير كبيرة حادة  
ولها أعراف قانية فى حجم الكف ، وذيول ملونة وعالية وأجسامها يغطيها  
الريش الزاهى نوا الألوان الفريدة .

تعودت جدتك أن تحمل لكم هذه الديوك مرتين فى العام .. نعم أنكر أن  
هذه الديوك الكبيرة كانت قبل سنوات تجرى ورائى وأنا صغير وتنقرنى فى  
رأسى وكتفى ، وكنت أهرب صارخاً بحثاً عن مخبأ يحمينى منها .. ديوك  
بلدية غريبة لم أر يوماً مثلها ، وظلت بخيالى تراودنى أطياها حتى ظهرت  
بعد ذلك فى رواية «روح محبات» .

طرقات على الباب لا تتوقف إلا عندما أفتح وأجده أمامي في جيبته  
الكحلية وعلى رأسه عمامته البيضاء الشاهقة .. عمى الشيخ مصطفى  
إسماعيل المقرئ الشهير ، الذى يتهلل حياً - يا يرانى ، وقد تعود أن  
يقول :

- وحشتنى أيها الغلام.

ويقول أحياناً :

- لماذا لا تكبر أيها الغلام !؟

يخرج إليه أبى ، فيقول له الشيخ مصطفى

- لماذا لا تطعمون غلامى يا شيخنا ؟

ليس عمى ولكنه كان زميلاً لأبى فى المعهد الأحمدي بطنطا ، تعارفاً  
وتصادقاً رغم أن الشيخ كان يسبق أبى بعدة سنوات ، اعتاد أن يزورنا كلما  
مر بينها .. قضى الشيخ معنا ليلة متوهجة ، تناوشتها أحاديث متضاربة  
حول الرصاص الذى أطلقه الإخوان على عبدالناصر ، قال الشيخ  
مصطفى:

- إن الإخوان يرون أن اتفاقية الجلاء التى وقعها عبدالناصر مع  
الإنجليز مخيبة للأمال ، وأنها تسمح بوجود قاعدة للإنجليز فى القنال ..  
سأله أبى عن رأيه فى ذلك .

قال الشيخ :

- الإخوان يحلمون وعبدالناصر حصل على ما كان صعباً الحصول  
عليه، والقاعدة الإنجليزية ستكون رمزية ، وتشرشل لا يريد لها كبيرة لأنها  
مكلفة ، خاصة بعد هجمات الفدائيين المصريين . هذا إذا تجاهلنا مؤقتاً  
أطماع الإخوان فى الحكم ومقاومة عبدالناصر لذلك .

انتقل الحديث إلى موقف مجلس قيادة الثورة من الأزهر ، والعسكر  
الذين يديرون التعليم والصحة ، والدعوة المشتعلة لعودتهم إلى الثكنات  
وتسليم الحكم للمدنيين فأشرعت أدنى وكل خلايا جسدى .. إنها اللكرة .

اللكرة التي فتحت لى بوابة العالم الذي اكتشفت أنه كبير جداً ومعقد .. كنت فى جرة مغلقة ، كما كانت عيونى مغمضة ، وألقتنى كلمات أخى وما تلاها وسط الشوارع والطبائع والحوادث والقسوة والحياة والموت والجمال والقبح والأمل والحب .. الأمل والحب .

ذكرينى يا نفس فافتى الأولى النسيان . ومن كانت له مثل ذاكرتى ، فليوقن بالتلف .

عندما بلغت سن اليقاعة ، سألت والدك عن اسمك .. لم اختاره ؟  
قال : كرهت فاروق منذ حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ورضوخه للإنجليز وقررت كاية فيه أن أسميك فؤاد مع إقرارى بأنه أسوأ .

## عائلة عجيبية

هل من حقنا أن نحكم على الأسلاف لأنهم اتخذوا قرارات ، وسلوكوا سلوكاً ما فى ظروف معينة ؟ أظن أن التقييم واجب ، إلا أننا فى الأغلب نظلّم الآباء ، إذ ننتزع ما أقدموا عليه من سياقه التاريخى والفكرى وبواقفه اللتبسة نون أن نراعى التركيبة النفسية ، أو نحسب حساباً لقدراتهم وقوى الضغط المختلفة التى تفرض شروطاً جديدة تفضى إلى تغيير المسار بما يناقض الرغبات الحقيقية المتسقة مع الفكر والروح .

ماذا جرى لعائلة والدى المقيمة بقرية كفر سندنهور التابعة لمركز بنها ؟ .. كانت قبل جدين هى رأس القرية وأعلاها سلطة ومالا وعددا وعزوة ، فهناك الأرض الشاسعة والتجارة والعييد والعمدية .. وتدرجياً ، تراجع هذا كله وتحلل ، وعندما ولدت كان المتبقى أقل القليل مع كثير من موجات البكاء على ما فات وبعض التناحر حول هذا المتاح ، ومحاولات كثيرة وطائشة للخروج من القرية ، وتعلقاً بالآمال الخابية ، وفى كل الأحوال ثمة غطرسة متعفنة بادت أسبابها .

جدى أحمد تناوشه أمراض الكلى والبروستاتة ، يقضى معظم الوقت فى الدار ، تتسلى يدها بحشو ورق البفرة بالدخان ، والانتقال من الظل إلى الشمس فى الشتاء والعكس فى الصيف ، ويتابع ما يجرى بغير اهتمام ، ولا يبقى له غير صوت جميل وعينين خضراوين صافيتين تفيضان حناناً ورقة ، وتكاد الدموع تطفر من عينيه إذا بلغه سهيل فرسته التى أخذها عمى .

جدتى «كعب الخير» فى المقابل شخصية مهيبة ، كلمتها نافذة على الجميع ، يتمثل فى تصرفاتها تقريبا كل ميراث الماضى ، ويتجلى على

ملاحها بقاياها .. كنت معها يوماً وهى تضرب الأرض بعصاها ، قادمة من  
جينة التين .. لمحت رجلاً يلبس عباءة فاخرة ويمتطى حماراً أشهب كبير  
الردفين ، عالياً ، يتقاذف فى اعتزاز متصوراً أنه فرس .. الخفير فى أعقابها  
يجرى .

نادته قائلة : ولد يا عبدالعزيز.

على صغرى أدركت أن هذا لا يصح فقد كان هذا الولد هو العمدة ..  
توقف الحمار فجأة ربما لمجرد سماعه صوت جدتى .. أسرع العمدة يهبط  
قائلاً فى ذلة مفتعلة .

- أمرك يا خالة .

قالت بعد أن دنت منه :

- إنت قدها ولا مش قدها ؛

لم أفهم عنن تتحدث ، ولماذا هو ليس قدها .

قال العمدة .

- قدها يا خالة .. فيه إيه بس .

- لسه فيه عيال بينزلوا الأرض كل ليلة وينهبوها .

انطلق بحماس :

- مستحيل يا خالة .. هو حد يقدر يهوب ناحية أرضك وأنا موجود .

- ولو قدر وهوب .

- أقطع رقبتة ورقبة اللى خلفوه .

أنجبت جدتى ثلاثة عشر ابناً وابنة .. مات منهم ثلاثة وتزوجت ثلاث  
نساء خرجن إلى حياتهن الجديدة ، وانتقل أحد الأعمام إلى طنطا وثان إلى  
القاهرة وبقي الآخرون فى الدار الكبيرة المكونة من طابقين عدا المضيفة  
والحظائر شبه الخالية . وكان لكل عم غرفة فسيحة له ولأسرته .

مع الفجر يصحو الجد والجدة يشعلان النار فى موقدين تندفس فيهما  
براريد الشاى والقهوة وتصطف الأكواب الصغيرة وفناجين البيشا المزرکشة

من الخارج بخطوط متقاطعة زرقاء على الأرضية البيضاء . تتمشى فى أجواء الدار أنفاس النار والدفء وروائح احتراق أغصان التوت والكافور . ينضم إلى الجلسة الدافئة كل من يصحو ، وأنا أول المستيقظين الحريصين على جلسة الكبار ، وشرب القهوة والاستدفاء بالنار وتأمل تغلباتها وقلبها الأحمر ، مستمعا إلى الكلام المتبادل ، بعضه فى سيرة الناس وبعضه توجيهات من الجدة حول أعمال يجب إنجازها فى اليوم نفسه، أو توبيخ منها لمن قصر وغفل ، بينما جدى يكافح كى يقول لوالدى وهو يبرم بقايا شارب رمادى هدته الأيام وأكلت بعض شعيراته .  
- افنكر يا محمود تجيب لى حق معسل وعلبة حلاوة .

ويقول لوالدى :

- لو عملت يا أصلان رز بلين لفؤاد ، هاتى لى طبق وهو لسه سخن . يتسم أعمامى كلهم تقريبا بالغلظة حتى أبى ، وإن كان فيه حنان يداريه حتى لا يحتسب ضعفا ، الوحيد الذى لا علاقة له بطبع الأسرة هو حسن أكبر أعمامى الذى يشفق على النملة فى الأرض ، وعلى القط الجائع والعصفور الباحث عن صغاره ، وينزعج جدا للطفل الباكي أو المرأة الشاكية فيسرع بكل ما يملك لتخفيف الآلام .. لذلك ينال أكثر التقريع من جدتى بسبب طبيته المثالية التى أعانته على تبديد الكثير مما تملك العائلة ، فكم من المحاصيل باعها ولم يحصل على ثمنها! ، وكم دفع ثمن أشياء ليشتريها ولم يتسلمها ، وكم خدعه الآخرون ويكتفى بأن يطلب لهم المغفرة من الله حريصا على ألا يغضب ! .. لذلك فجدتى وأعمامى وعمتى العانس يتولون الغضب .

طفولتى لا تبو على صفحة الذاكرة كلاً متكاملأ ، إنها شظايا تحركها شخصيات لا تنسى .. منها ما يتسم بالغرابة ومنها المعروف بالقوة الغاشمة والبطش وأغلبها كان حاد الذكاء ، والأغبياء قلة .. الأحداث كثيرة والتفاصيل أكثر .. على أن الغبار والضباب يحطان على كل شىء، ورمغ

هذا فللأشياء طعوم لذيذة لازلت أحن إليها ، وأهفو ، وإن كان أكثرها لم يعد يلائمنى بحكم السن وكفاءة الأجهزة الحديثة التى تحاصرنا بشكل يقتل البراءة والفترة .

لعل فى مقدمة هذه الأيام التى لا تصدأ «يوم الخبيز» .. يكاد يعتبر يوم عيد ، أو كيوم الحصاد فى الحقول ، له فرحة خاصة وتأهب جميل وحالة من السعادة تشمل الجميع حتى الحيوانات .. الدفء يسرى منبعثاً من النار المتوهجة ، وحمماتها وأسنتها التى تطل من فتحة الفرن السفلية كانتها لا تحتمل البقاء وتبغى الافلات ، وربما تروم الانتشار ومبارحة القمقم الجحيمي الضيق ، حريصة على ألا تتوقف رقصاتها المجنونة التى أطيل تأمل شجرتها المثيرة وهى تلتهم أقراص «الجله» وحطب القطن ، وما تيسر من شجر الجنينة المخلوع لشيخوختها .

فى الليلة السابقة أسهر مع أمى وزوجات أعمامى وبناتهم يجهزن العجين ، بينما بعضهن يغنين ، ولا تظهر جدتى إلا فى لحظتين .. لحظة وضع الدقيق فى الماجور مع الماء والملح وغيرها لتتحقق من دقة المقادير ، وعند تمام الاختمار .

تقوم واحدة بتقطيع العجين فى أقراص ، بعد أن تنتثر طبقة رقيقة من الدقيق على الطبلية حتى لا يلتصق بها العجين ويسهل سحب القرص من فوقها ، ثم تقوم الثانية بطرح كل قرص على المطرحة وهزه عددا من المرات ، وفى كل مرة يرق ويتسع ، يرق ويكبر حتى يصبح فى حجم المطرحة ، وتتناوله الثالثة كى تلقى به فى الفرن .

النسوة جميعا حمر الخدود معقرات بذرات الدقيق ، مشمرات السواعد . يتحركن فى خفة ، ويطلقن التعليقات الساخرة والنكات ويضحكن فى سعادة، وعندما يتأهب الخبز الساخن للخروج ، تسبقه رائحته المميزة التى تدغدغ الأرواح والبطون . تتأدى كل منهن زوجها وأولادها لالتقاط الدفعة الأولى منه .. الرغبة الأول له فرحة البكرى .

الخبز الطرى يطالعا ببخار أله وفرحه ولهفته للقاء أيدينا وأسناننا ..  
تسرع لتتناول معا أول رغيف ، كل من حضر يلتقط لقمة ، وتتوالى الأربعة  
التي تترك لتبرد ، ثم يجيء نور «البتاو» وهو قطير بسيط من طبقة واحدة  
يسقى بالسمن أو الزبد ، وهو أصغر قليلا من الرغيف الفلاحى وأسمك ،  
وفيه لدونة وسامة وطعامة مميزة .

أنت تنسى صينية البطاطس بعد انتهاء الخبز وتنسى الأرز المعمر  
بوجهه الأحمر الغامق ، وقد يكون ثمة حظ لشئ من البطاطا وكيزان الذرة  
وغيرها ليكتمل يوم حافل من أجمل الأيام الريفية حتى لينافس أيام الأفراح  
التي يحييها الشعراء والمداحون .

ما هذا الجمال الذى يفوح من تلك الذكريات رغم أن معظم مفرداتها  
مغموسة فى ماجور الفقر وبرميل قلة الحيلة !! ما كل هذا الانتصار اللذيذ  
الذى لا يجعلنا ننام إلا مع الفجر إذا استمرت نطلى تنور بعد أن توقفت  
نحلة غيرى !! ما السر فى البهجة التى تشملنا ونحن نجرى ونتسابق فى  
وحل الترع الذى يملأ قيعانها بعد انحسار الماء لاصطياد الكراكر الصغيرة  
من السمك ، وهى تحاول أن تقوص فيه هربا منا !!

لا تحاول أن تفصل نفسك عن عائلتك العجيبة كما تصفها ، وتبحث لك  
عن تميز بينها ، فأنت فرد منها ، ما يصدر عنها يصدر عنك ، ويلون  
مواقفك ، أردت أم لم ترد ، حتى لو كان مختلفا على نحو ما ، فاذكر واقعة  
الجلباب الجيد الذى أحرقت حتى آخر خيط ولا تدعى الحكمة .

كنت قد تجاوزت الثالثة عندما أطل العيد ببهجته وأفراحه ، وكعادتي  
استيقظت من النوم قبل أخوتي ، فسارعت أمدى بنزع ملابسى وأعدتتى فى  
الطشت وغمرتتى بالماء الدافئ .. ومضت تدلك بالليفة والصابون كل سنتمتر  
من جسمى الضئيل المرتعد ، حتى شعر رأسى وما بين أصابع قدمى وأنفى  
وما بين ساقى ، وعادت تدلك الجسد الصغير حتى احمر ، ولم تتوقف إلا  
بعد أن بدأت أتوجع من قسوة الليفة الخشنة ، وكان أخى الكبير فوزى قد

استيقظ ، وكان عليها أن تغسله غسلا جيدا مثلى حتى تكون لائقين بالعيد ، وكان فى العادة يأبى لأنه الأكبر ، ويمكن أن يستحم وحده ، لكن أمى تصر على القيام بالمهمة.

ألبيستنى جلبابا جديدا ، فرحت به ، وأخذت أمر عليه بيدي فأحس للقماش الجديد طراجة ووشوشة .. ألبيستنى حذاء جديدا أسود ، له لمعة زائدة سررتنى ، وقبله شراب أبيض يقبض بمطاطه اللذيذ على ساقى .. مشطت شعرى وتأكدت من استقامة الفرق الذى يخط الرأس من الجانب الأيسر ، ولا يزال حتى الآن .. دفعتنى دفعة حنون وهى تقول : جدك فى القاعة. خليه يشوف اللبس الجديد والشياكة .

كان على أن أطمئن بنفسى على المسألة كلها وإنما بالفعل تدل على حالة ولد فرحان بالعيد ويرتدى الجديد .

انطلقت إلى حجرة نوم أمى فوجدتها مظلمة وأبى نائم ويتعذر على رؤية صورتي فى مرآة اللولاب الكبيرة . خرجت إلى وسط الدار حيث توجد مرآة عالية على أحد الجدران . حملت إليها كرسيًا خفيفًا وصعدت عليه لأتأمل جلبابى المخطط بالأزرق ، والجيب الصغير الذى طلبت أن يكون فوق قلبى .. بحثت عن السيالة التى يمكن أن أخبىء فيها العدية . انشغلت عن الجلابية لحظات بمتابعة الديوك الرومية التى كانت تتهادى فى سلاسة ، ولما اقتربت منها غضبت واحمرت أعرافها وبسطت أجنحتها حتى تصلبت ومضت تمشى فى غطرسة وهى تحكها بالأرض .. كنت أدهش لإحساسها الزائد بالعظمة ، عدت إلى جلبابى فشعرت بالعظمة أنا أيضا .

راقبتنى عمتى العانس ، وكانت تقلب الخبز على موقد النار ثم قالت:

- الله .. جلبيتك جميلة يا فؤاد .

فرحت وقلت : أه

- وجزمتك كمان.

انتفخت وقلت : أه

كنت مسرورا لآتى وجدت من يمتدح ملابسى ، ومن المؤكد أن الأولاد فى الشارع وأهاليهم سيدهشون .

سألتنى : أمك اشترتها بكام؟

فقلت على الفور:

- بسرسين صاع .

فوجنت بها تضحك ضحكا هستيريا حتى وقعت على ظهرها .. لم تنتبه إلا عندما لسعتها النار فى ساقها الممتدة فوقها .. اعتدلت لكنها واصلت الضحك .. لم تتوقف حتى بعد أن حملت الخبز إلى جدى وعمى حسن ، وسمعتها تعيد ترديد كلماتى وتضحك . كدت أنفجر من الغيظ . كيف تسخر منى ومن جلبابى ؟ . سمعتهم فى القاعة يضحكون .. تصاعد الغيظ . امتدت يداى إلى خلف رأسى فسحبت الجلباب بعزم ما بى وألقيت به فى النار .. وقفت أهدق فيه وهو يتلاشى قطعة قطعة ، والنار فرحة به تتعجل التهامه وتعلو وتجرجره ، وكلما ارتفعت النار واختفى الجلباب شعرت بالراحة ، وقبل أن تلتهم الأكام جاءت عمتى وسألت عن سر النار العالية .. لمحت الكم ولحتنى عاريا فسألتنى بفرع .

- رميت إيه فى النار ؟

قلت بفخر:

- الجلابية .

ضربت صدرها واصفر وجهها ثم اسود ، وقالت بحزن حقيقى :

- ليه يا بنى كده ؟

قلت فى شبه انتصار : تتناورى على واسكت .

صرخت :

- الحقى يا أصلانة .. الحق يا حسن .

جاء عمى حسن بسرعة قبل أمى المشغولة بحمام أخى وقبل أن يفهم

لقصة . أخذنى فى حضنه ولفنى بعباعته . أجلسنى أمام النار وجلس إلى

جانبي . وقال :

- قل لي بقي يا عم إيه اللي جرى ؟

عندئذ انفطت عمتي في الضحك الهستيرى ونسيت الجلاب المحروق ،  
فأسرعت بخلع حذائي خطفا نون فك الرباط وألقيت كل فرده في ناحية ،  
وأصليت عمتي ضحكها ، فانتفضت راميا عباءة عمي وأسرعت عاريا إلى  
الداخل فاصطدمت بأمي التي تلقفتني في حضنها مرعوبة تسأل عن  
الحكاية. ارتعد جسمي وصعبت على نفسي وسرعان ما سالت دموعي  
بغزارة .

سمعت عمي حسن يقول لأمي بينما يتوجه إلى جدى :

- ابنتك كرامته على طراطيف مناخيره .. لبسيه وهاتيه.

احتضنتني أُمى بقوة فجفت دموعي .

## روكسى

أنهى والدى دراسته الدينية فى المعهد الأحمدي بطنطا، وكان قد تعرف بالشيخ مصطفى إسماعيل فى أوائل الثلاثينيات من القرن العشرين كما تعرف على الشيخ محمود على البنا والشيخ عبدالعظيم زاهر وكانوا يسبقونه بعدة سنوات.. توطدت الصداقة حتى سمي أبى أحد أولاده باسم زاهر وقد لقي وجه ربه بعد عام كما لقبت قبله فوزية التى كانت تكبرنى وجه ربها بعد أعوام قليلة.

بقى والدى عدة سنوات لدى أخيه محمد التاجر المقيم بطنطا إلى جوار مسجد الشبخة صباح، ولم يكن أبى ميالا للعمل واعظاً فى المساجد أو قارئاً للقرآن، وقبل العمل مع عمى محمد فى دكانه، وعندما حضرت أسرة أمى من بسيون لزيارة الشبخة واستشارة أحد الأطباء المشهورين، تعرف جدى حسين إلى عمى محمد، ورأى أمى فقرر تزويجها لوالدى.

فوجئت أمى بحياة الناس فى القرية التى انتقلت إليها، لأن بسيون وإن كانت مدينة صغيرة إلا أنها تختلف، فضلاً عن أن عمل جدى فى إصلاح ماكينات الخياطة حقق له وضعاً اجتماعياً وعملياً متبايناً، وتسببت مجموعة من الاختلافات فى خلق جو غير صحى من العلاقات الأسرية.

كان هناك الفارق النسبى فى مستوى المعيشة. وكانت أمى جميلة بينما زوجات عمى وعماتى حظهن من الجمال قليل، كما تبدو أمى أكثر وعياً بحياة المدينة، ومعلوماتها عموماً أكثر تقدماً، خاصة

فى أنواع الطعام وأساليب التربية والمعاملة وأهمية التعليم وطرق الحوار وضرورة الاستماع إلى الراديو والتنزه، إضافة إلى خبرتها بالخياطة وماكيناتها، فقد كانت أثيرة لدى والدها محبة للاستطلاع، وتفضل مراقبته على أى لعب أو عمل، وليس من ذلك شىء، بين مفردات الحياة الريفية التى لا تعرف غير الحقل وأوامر الكبار وألوان محددة من الطعام والعمل واللهو، ومساحات محاصرة للحركة وأفاق تمنع من الابتكار.

رغم أن والدتى تميل إلى العمل فى صمت وتتميز بالصبر وتحسن الانصات، فقد شرعت التحرشات السرية، والسخرية من أفكارها وطرق طهوها وتسريحة شعرها وألوان ملابسها، بل ومن ميلها الدائم للنظافة، وتم توجيه الجدة للضغط على أمى لصنع أقراص «الجلة» من روث البهائم، ففعلت على مضض، واشتركت فى الخبز والخبز وتفريط الذرة.. حاولت ألا تكون عاصية وأن تتأقلم مع القواعد الراسخة فى حياة الأسرة.. لكنها رفضت بصلابة وشمم أن تملأ الجرار من النهر أو تغسل فيه الأوانى أو العمل فى الحقل.. وساندها جدى وعمى حسن، وتدرجياً أيدها الأعمام جميعاً، وكانت جدتى فى السر معجبة بها، لكنها لا تود أن يعصى أحد أمرها، وكذلك كانت عمى التى كانت نيرانها المشتعلة قد خمدت قليلاً تجاه أمى بسبب ما تمنحه لها من هدايا تحملها إليها والدتها كلما زارتها، وكذلك الأدوات الخاصة بها كالأمشاط والروائح وبعض المواد المزيلة للعرق والشعر. لم تخضع أمى أبداً لما لا يرضاه أو تقتنع به، وأحياناً ما تقدم عليه بوازع من المشاركة وحتى لا تتهم بالتعالى، وما كان أيسر من تدبيج التهم، ولم تقصر فى إجراء عملية الاندماج، وكانت يدها دائماً العليا وشخصيتها لافتة برغم صمتها وهدوعها وميلها للطاعة، وظلت وسط الأسرة وبرز الريفيات كائنات غريباً ومدهشاً.. جميلاً ومحبوياً، وكانت سعادة بعضهن أن

يوجهن لها التحية فى الطريق وترد عليهن بمثلها وابتسامه.

بعد أن ولد فوزى عرض الشيخ مصطفى إسماعيل على والدى مصاحبه إلى القاهرة ليقرا القرآن فى مساجدها أو يؤم المصلين. لكن أبى لم يكن يؤمن أن قراءة القرآن حرفه بل هواية وصله بالله ورحلة روحية منقذة من الضلال والهيم، واعترف بأن جدى دفع به إلى الدراسة الدينية وحفظ القرآن تجنباً للجهادية (الجنديّة) التى كانت فى الأغلب قتلاً للشاب وحرماناً لأسرته من جهوده أو رعايته، فلا مفر من عمله فى خدمة الانجليز فى السلم والحرب، وليس جهاده العسكرى لحماية تراب مصر والمصريين، وهكذا قبل أبى العمل سكرتيراً فى مدرسة الأمريكان بينها.

بعد أن ولدت فوزية طلبت المدرسة من أبى الانتقال إلى الإدارة فى روكسى حسب رغبة مستر بولتون، ورأى والدى أن تبقى أمى وولداها مع الأسرة فى كفر سندنهور، لكن أمى اعترفت له أنها كانت تدعو الله ليل نهار كي يخرجها من هذه القرية التى تكاد تميته كمدأ وهى تأبى الشكوى أو التصريح بما تعاني، وقد استجاب الله لهذا الدعاء بأفضل مما تمننت وألحت عليه أن ترافقه والولدان فوزى وفوزية ولن يكونا عبناً عليه، بل عوناً وأنساً.

عاشت الأسرة الصغيرة فى شارع السلطان حسين، وكان آنذاك آخر العمران القاهرى، ولم تمر غير شهور قليلة حتى نشب صدام بين أبى ورئيسه اليهودى الذى كان يمارس بعض العبث فى ماليات الإدارة، كما كان يضيق بأبى الذى يقرأ القرآن وقت الراحة وحتى أثناء العمل وإن كان بصوت خفيض. فدرس له مرات فى حين كان يداهنه ويطريه، وأبى واضح لا يجيد سبيل الدهاء، حتى فوجىء بالفصل، وأمى على وشك الوضع، فقد كنت أتأهب للخروج من قمقم الرحم إلى بحر الحياة.. من المجهول إلى المجهول.

عاد أبى قبل مواعده، كما حكى لى أمى: يبحث عن ريقه فلا يجده. لا يعرف كيف يبدأ وماذا يقول، لكنه يبدو غارقاً فى الحيرة والاضطراب. عندما سألت أمى عن حاله لم يفصح وأنكر ورفض الطعام والحديث ثم ثار، وعندما مد يده إلى القلة، ووجدها شبه فارغة قذفها فى الحائط فتحطمت شظايا مثل قلب أمى.. كان أبى يختنق بسرعة كلما داهمه ظرف طارىء.

أمى متشبثة بالحياة الجديدة التى تآقت إليها، وكانت بالزواج تأمل فى العلو فوق حياتها البسيطة فى بسيون، فإذا بها تهبط إلى عيشة متواضعة فى القرية. أقل كثيراً من أمالها، والمرأة فى الأغلب لا تفتأ تنسج الأحلام، ولا تقبل التنازل عن سلمها الصاعد أبداً. دائماً هناك أحلام بعد أحلام، وأمال تتولد من أمال، وهناك فوق ثم فوق، وبعدهما فوق الفوق.

لم يحتمل أبى التصرف فى حمله فانطلق يحكى بعد أن استدرجته أمى بمعسول الكلام والصبر والتخفيف من وقع أى ملامة مادام الله معنا.

وقعت أمى - كما حدثتني - فى بركان الحيرة والفرع من القاهرة وقد احتشدت فى سمائها غيوم الضياع، ونهض أبى ليصلى كما اعتاد أن يفعل فى المواقف التى لا يملك لها رداً ولا تواتيه حيلة للخلاص، بينما أمى تجلس ساكنة تحدى فى وجه الظروف المتجهمة وأنيابها الحادة. تسألها: ماذا تريدين؟.. لماذا تتربصين؟.. ابحتى لك عن أناس غيرنا يحملون حصارك.

إلى أن نبتت الدموع ساخنة وتساقطت، وتمنت ألا يلومها زوجها كما اعتاد لأنها أثقلت وأولادها الزورق الصغير، لكنه لامها فعلاً كما توقعت وقاومت غضبه بالصمت والصبر والتفكير.

اكتفى بما فاض به من التائب واعترف بذنبه، مضى يضرب كفاً بكف، متسائلاً عن عقله كيف غاب حين وافقها على صحبتته وترك العش الهادئ والأمن.

فجأة قالت له:

- لماذا لا تكون كنتيك محمد؟

- لا أنهم فى التجارة.

- لا بد أن تفهم.

- بالعافية؟

- نعم.. بالعافية.

.. -

- هل لديك حل آخر؟.. هل ستبحث عن عمل هنا فى مصر؟

.. -

- اذهب إلى الشيخ مصطفى؟

.. -

- لماذا لا ترد؟

- نعود إلى البلد... نعيش وسط أهلنا.

- نعود بالفشل، هذا لا يكون أبداً.

- أعود وليحدث ما يحدث.

- هل تصبح فلاحاً؟ هل لديك الأطيان أم ستعمل بالأجرة؟

- ماذا سنفعل إذن؟

- تفكر.

بقى لحظات يفكر ثم أقبل على صلاته فهى ملاذه، وبعد تقائق قليلة مرت كالسنة. وضعت أمى طرحتها على رأسها وفتت جسمها بالملاءة السوداء وتوجهت مباشرة إلى مطعم الحاج رزق بائع القبول والطعمية. طالبته أن يسعى لدى صاحب البيت كى يوافق على تأجير المحل الصغير المجاور له وقد مات صاحبه الأسطى كامل «الرفاء».

المحل لا تزيد مساحته عن مترين فى متر..

ضيق الصدر لا يملك القدرة على حوار طويل، كان والدى .. لم يكن يحب أن يرجو أحداً شيئاً مهما كان ضرورياً له. سعد رزق فى الحال إلى صاحب البيت وأقنعه بالموافقة على أن يكون الإيجار جنيهاً كاملاً فى الشهر.. باعت أمى خاتمها وسلمت أبى الفلوس ليملاه بالبقالة.

كانت المنطقة شبه موقف للجند الزاهبين إلى معسكراتهم فى الهايكستب وما تلاه من الصحراء.. فوجىء أبى بأن البضاعة تنفذ بسرعة والطلبات كثيرة، وشرعت أمى تفكر.. كيف يتوفر كل شىء فى الجحر الصغير؟.. أبى يعمل بلا توقف ولا ينام غير ساعات قليلة والمحل يكبر تدريجياً والخير يطرق بابنا بحماسة وإلحاح. النافذة الإلهية حين تفتح تجر فى إثرها عشرات النوافذ والبوابات، وإذا واتى الحظ باض الحمام على الوتد .

كان أبوك يحمل نقوده من حصيلة البيع آخر الليل فى كيس قماش كبير، يصب محتوياته فى حجر أمك، ويسهران معاً يحصيان القروش وأنصاف الفرنكات والشلنات والبرايز والريالات والجنيهاً، ويقبلان الأيدى، وكل شهر تقريباً يخطف أبوك عدة ساعات إلى الكفر لتقبيل يدي والديه ويطمئنهما عليه وعلى الأولاد، ويطعمهما بيديه قطع البسبوسة التى يحبانها ويقدم لأخته ما أرسلته أمك إليها من الهدايا.

وبينما كان شبح هتلر يشغل كل العقول ويزور النائمى فى أحلامهم تحت هاجس إمكانية الهجوم على مصر وطرد الانجليز وتخليص البلاد من الكابوس الأسود الذى يحول دون أن نتطلع إلى أيام هنية. تسلمت أنت إلى الحياة فى تلك الفترة المواراة بالمغامرة والاندفاع، المحتشدة بالأمال والأموال. وتظل هناك ولو عن بعد تنتصب أسباب التهديد والخطر.

## الضربة القاصمة

هل فتح خروج أبى من الدار الكبيرة شهية أعمامى للخروج؟.. عاد أبى عن إحدى زيارته للكفر، وقال إن عمى قنديل بنى بيتاً مستقلاً وانتقل إليه، وعمل عمى السيد فى الشرطة، وانتقل إلى اسطنها، وحسن الكبير كان قد سبق واستقل ومحمد غادر بعده إلى طنطا.

كعادتك نسيت عمك على، بل إن جميعكم كنتم تنسونه، لقد كان كما قيل عنه طبيباً وحالمًا وشارداً.. هل يمكنك ببساطة أن تنسى هذا العاشق الذى هام حباً بفتاة أحبته تقيم بينها إلى جوار مسجد أبو نوار، ولما علم أهلها تخفوها عنه، فمضى يبحث عنها وينتظر أياماً خارج بيتها لعلها تطل من نافذة أو تخرج من باب، وعندما يحس به أهلها ينقلونها إلى بلد آخر فيسافر إليه وينتظر، إلى أن أعيدت إلى قريتها فى قنا فما طاق الفراق ومضى فى قنرها.

نعم أنتذكر جيداً ما سمعته عن تجواله خلف الحبيبة. أنكر كيف أنه قرر مواجهة أهلها ووضع نهاية لمأساتهما، وطرق كل الأبواب التى توصله إليها وإلى رأس العائلة.. أنقذه الطيبون من عدة محاولات لقتله إلى أن أشفق عليه أحد شيوخهم واستقبله ليسمع منه، ثم طلب إليه أن يغادر القرية ويمهله شهراً يرتب فيه حلاً لمشكلته ووعده أن يبذل جهده فالقلوب معلقة بكف الرحمن وهو يثق أنه محب شريف، وعليه فى الوقت ذاته أن ينشغل بترتيب ظروفه المالية.

عاد عمى على منشرح الصدر عازماً على تجهيز العرش المأمول لحبيبة قلبه خارج الدار الكبيرة، مكتفياً ببيت صغير بينه على حدود الأرض المطلة على النهر.. عاد محمولاً على محفة الآمال متأملاً القمر الذى كان يصاحبه فى رحلته حتى أثناء النهار وفى الصحو والنوم ودخل القطار الذى احترق

عند بنى سويف، ومات معظم ركبائه، وأنقذ عمى على وبقى فى المستشفى أسبوعاً، ثم رحل بعد أن بكى طويلاً للنهاية غير المتوقعة.. وحكى بالدموع عن وعد الشيخ سليم.. رحل عمى.

رحل عمى ونحن فى القاهرة.. رحل تاركاً الحسرة بقعة سوداء تتسع فى قلب جدى وجدتى، وكان تأثير رحيله فاجعاً على جدى بالذات الذى انخرط بسرعة فى طريق المرض، فقد كان على أقرب الأبناء إليه، وإن كان يستشعر إنه لا يعتمد عليه بسبب رومانسيته الزائدة، وجريه الذى طال فى إثر حبه دون أن يلتفت لأخبار الأرض والتجارة، ولا يعرف شيئاً عن أحوال العائلة ودرونها المضطربة.

كان على يشبه كثيراً أباه.. يشتركان معاً فى ذلك العرق الطيب الحنون والنار فى جبل العائلة الصخرى. كان يعرف كيف يحب.. غرس الله له قلباً عاشقاً لكل المخلوقات، وخاصة البنات والقطط، وبرغم ما جرى فلا يحتسب على ضمن الفاشلين فى الحب، وإن كان فى عائلتنا حالة نادرة، لم يتح لها أن تتكرر.

بل تكررت، فنتت مثله وأفدح.. لاحظ أنك تتنكر من جديد لجينات عائلتك العجيبة وتحسب إنك مختلف.. لقد أوشكت أن أرتاب فى نسيانك فقد يكون محض ادعاء، وصورة الإنسان عن نفسه غالباً غير بقيقة، والمرايا التى يحرق فيها بحثاً عن ذاته غير صافية، وشهانتها مجروحة. وسؤالى.. لماذا لم تكتب شيئاً عن عمك على؟ ألا يستحق أم غلبتك خشية من ظهورك فيه، أم أنك مثل أعمامك وعمائك حاولتم التخلص من سيرته فقد يكون فيها ما يشين؟ لا أحد يصلح أن يكتب التاريخ، لأنه غير موجود تلك المحايد مائة فى المائة.

عندما مرض جدى لم يجد عوناً كافياً من أولاده الذين تفرقوا فى البلاد..

تعالى النداءات بأن جدى تداهمه الايام الأخيرة، ولما زاره أبى، بكى الجد طالباً منه أن يعود، وتكرر الطلب، وأدرك أبى ذلك من قبضة يد جدى المعروقة على يده وهو يتأهب للانصراف، كما لاحقته دموع أبيه فى كل أرض.

وصل أبى إلى بيتنا فى روكسى مع الفجر، فقد ضل الطريق عدة مرات، وسار على قدميه عدة كيلو مترات، وعانى فكره من الحيرة، وعصفت به حالة نبيه وزلزله اللحظة التاريخية التى تضربه بكل قسوة لكى يصدر قراراً حاسماً يؤكد ولاءه للرجل الكبير المستوحش والعاجز. كان مهتماً فى كل لحظة بإيهاهم والده أن أبناءه جميعاً بخير ولن يخذلوه أبداً.

لطمت أمى خديها لأول مرة فى حياتها، وانتفضت وانشالت وانحطت كأنها ترى شيطاناً أمامها.. فوجئت بأن أبى باع البضاعة وصفى كل شىء وسلم المحل، وعلينا الرحيل فى اليوم التالى.. صرخت أمى غاضبة، مرعوية ومتعجبة تستجير بالسماء.. بعد وقت عصيب سألته عن الأسباب التى دفعته لهذا القرار المجنون والمدمر.

- أبى مريض.

- نرسل له تكاليف العلاج.

- العناية أهم.

- نكلف من يعتنى به.

- لا يعتنى به إلا من كان من صلبه.

- إخوتك هناك..

- رحل معظمهم، ومن بقى لا يسأل.

- يامحمود أرجوك.

.. -

- أبوس إيدك.

.. -

حدثته عما تحقق وعن المستقبل والأولاد.. المشروعات الجديدة التى كانا يزمعان البدء فيها.. ذكرته بكلامها عن الحياة الكريمة والنظافة والتعليم.. المدينة تصعد والقرية تهبط.. أبدأ.. رأسه وألف سيف ألا يبقى يوماً واحداً وألا يتخلى عن أبيه لحظة، وإذا رغبت فى البقاء فليس غير الطلاق. كان هذا أبى دائماً.

لم تكن أمى - كما قال والدى - فى هذا اليوم هى أمى.. كانت شخصاً آخر.. تلطم وتبكي وتدور فى الشقة وتلول وتنتقل من الباب إلى الشباك.  
- أمك الصابرة الهادئة جداً المتماسكة جداً.. أصابها الجنون فى هذا اليوم.

قلت له بعد ذلك مائة مرة، إن ما فعلته أمى أقل مما يجب.. كدت أقول له، كان عليها أن تسقيك شايا بالمخدر وتقتلك.. لم تكن لنحزن. إن من قتل الأمل، قليل عليه القتل.

هذا سمعت العائلة.. تندفع بلهفة نحو الأفكار الخاطئة، ثم تصر عليها وحتى إذا أيقنت بالصواب لا ترجع عنها ففى ذلك ضياع الكرامة والهوان وقد كان لهم فى القديم عز وسلطان، ذهب لأسباب مماثلة.  
عدنا إلى القرية بالليل، حتى لا يرى أهلها فى النور عودتنا البائسة.. تسيل من عيون أمى دموع يختلط فيها الانكسار والخيبة والغضب. لم تكن لعدة أيام قادرة على التنفس. الغضاء خلا من الهواء.

البيت الكبير خال تقريباً من الناس والحياة والصخب.. السماء غائمة.. القرية ترتعد. الوجوه المعفرة بالأيام شاخت.. الجدران ساخت فى التربة الموحلة.. الأشجار مالت والظلال مصفرة.. الصمت شامل لولا نباح بعض

الكلاب التي تعاني من الفراغ والجوع. تحاول أُمى جاهدة أن تتواءم من جديد فلا تعثر في أعماقها على الحماس الكافي.. تحاول كي تربط عربتها بعربة الحياة .. حياة القرية وليست حياتها.. أبى لا يعمل.. ينفق الكثير على علاج جدى، وسرعان ما مرضت فوزية أيضاً ثم رحلت على عجل.

عرفت طريقى إلى الحقول أنا وأخى، هو يتسلق الأشجار ويقفز بين الأغصان ثم يطير إلى الأرض أو يسقط فى الترعمة، وأنا أعبو خلف الفراشات وأرقب حركة النمل والطيور وأحمل الزهور لجدى ووالدى. انضم أخى إلى الأولاد الذين يجمعون دودة القطن من فوق اللطع دون علم الأسرة، وكان أغلب الناس يدهشون له، إذ كيف يخوض الولد الجميل نوى العيون الخضرة والوجه الأحمر فى طين الحقول مع الأولاد الحفاة والعرايا من أجل ملاليم. فضلاً عن أن أحداً من عائلتنا لم يفعل مطلقاً.

غضب أبى وطارده أياماً لكن فوزى كان يجيد الهروب والاختباء، وبدا أبى غاضباً من نفسه وليس من فوزى، فقد نفذت كل الأموال، وجدى لا يتحسن.. تعب القلب وأنهك ثم تفاقمت متاعب الكلى والبروستاتا وتليف الكبد، لكن العمر لا يزال فيه بقية، وأبى يرفض أن يبحث عن عمل حتى لا يغيب عنه لحظة فقد يفارق، وفجأة وافق على عرض الشيخ مصطفى إسماعيل بالعمل لدى البدرأوى عاشور فى مزارعه التاسعة بشمال الدلتا.

توالت الأحداث التي لا أذكر منها فى تلك الفترة غير سهري حتى الفجر مع فتحى الشاعر نستمتع للسيره الهلالية التي خلبت لى، كما لا أنسى معركتى مع أطول رجل فى القرية محمود نجم. كان طويلاً جداً يلتقط ما يشاء من أشجار التوت والجميز والجوافة وهو واقف على الأرض، إذا قدم عن بعيد تحسبه رجلاً يحمل رجلاً.. فى مرة اصطدمت به وأنا أجرى، فقال

لى حاسب يا ولد.

قلت له: لا تقل يا ولد.

قال أنت ولد وستين ولد.

التقطت طوبة صغيرة وصويتها نحوه فأخذت طاقيته وطارت. بانت رأسه التى تشبه قمع السكر أو على الأقل كالبيضة.. ركض خلفى ولم يلحقنى.. غرق فى الضحك كل من شاهده. انطلق فوزى الذى رأى إلى حقل نجم وصعد إلى الشجرة التى يعلق فيها القلة وشرب كل ما فيها من ماء بارد وبال فيها، ثم جرى وجرى وعاد يبول فيها انتقاماً لى.

أكل الندم والذى لأنه ترك جدى، فبعد شهرين فقط من سفره إلى بلقاس مات جدى. وبدا كأن الأقدار تلعب لعبة مجهولة مع والدى ومعنا.. مواقف عجيبة ومتضاربة.. الآمال كأنها تلهف على التحطم فوق صخور المفاجآت الصادمة.. لا شىء يمضى على النحو المرغوب وليس ثمة خط يمتد على استقامته كما يهوى راسمه، واللحن الجميل سرعان ما تضيع نغماته من العود المتيم.

دعانا أبى إلى الانتقال للعيش معه فى بلقاس. فرحنا مع أمى بالرحلة الجديدة، خامرها إحساس غامض بأن القدر سيعوضها عن خسارة القاهرة.. نمنا فى القطار وظلت مستيقظة تحاول أن تسخيل شكل الأيام المقبلة، وتمنت أن تستطيع التكيف مع طباع أبى أو معرفة ربود أفعاله قبل أن تنطلق بوقت كاف، لأنها إذا انطلقت كالسهم من القوس فلا تترد ولا يمكن التأثير على مسارها.

الأسباب التى تدفعه للقرارات المفاجئة لم تنته بوفاة الجد، فهناك الجدة والعمة وبقايا الأرض، وربما آخرون يجد لهم عليه حقوقاً تستحق الوفاء، وأسرته الصغيرة أول من يدفع.

استقبلتنا بلقاس استقبالاً لا ينسى.. أغرقتنا بالمطر المتدفق بغزارة كان  
السماء خزانات مفتوحة لا تصب إلا علينا.. ظلت الأمطار تغمرنا دون توقف  
تحو ثلاثة أشهر.. كنا نعيش فى الدور الثانى بإحدى البنايات والسقف من  
توقنا أشبه بالغربال.

نضع تحت كل ثقب حلة أو طشتاً أو دلواً أو كسرولة، حتى على السرير..  
لا توجد مساحة غير مخترقة بالمطر تكفى لشخص واحد كى يتمدد أو  
يقوقع لينام.. دعتنا والدتي أن ننام تحت السرير.  
كانت الطرقات بحاراً والمياه تصل إلى بطن الرجل وغالباً حتى  
ركبته..

ظهرت مهن جديدة للرجال من وحى الظروف، منها حمل الأطفال من  
مكان إلى مكان ونقل الناس على عربات يجرونها بأنفسهم كالركشا فى  
تصين، ولا شمس هناك ولا سماء صافية، ليس غير سحب ملبدة دائماً  
سوداء مثقلة بالماء.

جلست والدتي تتأمل الأحوال والطرق المسدودة والآمال الموعودة والحيرة  
والفشل، وأبى يعود مهدوداً لا يصلح حتى للكلام.. طلبت منه يوماً أن يعود،  
توافق وقد أشفق علينا، لكنها فاجأته، بأنها لن تعود إلى القرية، فسوف  
تسكن مدينة بنها التى تبعد خمسة كيلو مترات عن القرية.. مدينة صغيرة  
ولكنها مناسبة لدخول الأولاد المدارس ولبدء حياة تخلو من الطين والظلام  
والحشرات.

دخلت المدرسة خريف عام ١٩٥٠. ورفضت المدارس قبول فوزى الذى  
يكبرنى بأربع سنوات فالتحق بمحل خياط، وأنهى أبى عمله بمزارع  
البدراوى عاشور حتى لا يترك أسرته وحدها، وسعى الشيخ مصطفى لى  
وكيل وزارة الصحة، فوافق على إلحاقه مسؤولاً عن التوريدات فى مستشفى  
بنها العام.



## طائرتى الورقية

كانت الخمسينيات فيما يبدو حقلا خصبا ونضرا نبتت فيه بعض شجيراتى الراجعة، تفتحت بوابات روحى للوجود، واستيقظ الوعى أو لعله ولد تماما.. لعبت الكرة وبرز نجمى كمراوغ، وكنت محط النزاع بين فرق الشوارع والأحياء فكل منها تريد أن تجتذبنى إليها واستهوانى الرسم، خاصة الشخصيات، فرسعت عبد الناصر وأمى وأبى وطه حسين والحكيم وسعد زغلول ومصطفى كامل الذى سحرنى بشخصيته ووطنيته، كما رسعت عبد الله النديم وبعد ذلك بستوات رسمت كريمة فى عدة صور، ولم يمنع الرسم والكرة متابعتى للأحداث السياسية من خروج الانجليز وإعلان الجمهورية إلى صفقة الأسلحة الروسية عن طريق التشيك وغضب أمريكا، إلى التفكير فى بناء السد العالى ومؤتمر باننويج وتأميم القناة الذى كان بحق ضربة كبرى من معلم رفعت رؤوس عدة مليارات من البشر فى كل أنحاء العالم يعانون من القهر والتخلف والحصار والمذلة، ثم كانت السقطة الأوروبية الكبيرة بعدوانها الثلاثى على مصر فى ١٩٥٦ إلى أن انحسرت الأمواج الهائجة، واستقر زورق البلاد على مياه هادئة وارتفعت العيون لتواجه الشمس.

ما أروع تلك الأيام، وما أتعسه من ينظر إليها بلا ميالة ولا يحفل بالمجد الحقيقى الذى نسجته أيدي المخلصين الذين كانوا ينهلون من نبع الكرامة.. النبع الحقيقى للحياة!!

أحببت ناجى مدرس الرسم وأحبنى وشجعنى.. وسيم ورقيق وحالم، بسببه حصلت مدرسة بنها الإعدادية القديمة على عشرات الجوائز، طلب منى مرة أن أحمل خطابا إلى مدرسة فى مدرسة أخرى.. حملته إليها، بعد

يومين سلمنى خطابا، فأسرعت سعيدا بتوصيله. سألتنى:  
-- لماذا لم تسألنى لم اخترتك لتوصيل خطاباتى إلى أبله صافية؟  
قلت: عندما أكون راضيا لا أسأل.

كان الرجل حيبا وكذلك كانت، اكتشفت إنها تسكن بعد بيتنا بعدة بيوت،  
لا أنسى عيونها السود الواسعة وأصابعها النحيلة، وفمها الصغير وأنفها  
الذى لم يكن أكثر من ثقبين فوقهما بندقة بيضاء.

فى إحدى المرات سلمتنى كيسا، سألتها بعينى: للأستاذ؟ هزت رأسها  
مؤكدة.. حملته إليه فى حجرته، ولما فتحه تهلل، لم أكن أتصور أنه يفرح كل  
هذا الفرح بسبب كوفية حمراء لها شراشيب سوداء، كنت سعيدا لأنى أرعى  
علاقة رانعة تجمع بينهما.

لكنك لم تذكر شيئا عن الكوفية التى غزلتها لك بيديها من الصوف  
الأصفر، بشراشيب بنية، ولفتها بنفسها على رقبتك ثم ضمنتك إليها، وقبلتك  
على خدك الأيمن فى امتنان.

كان الأستاذ ناجى أول حبة فى عنقود كبير من الأساتذة المخلصين..  
كان لهم نور كبير فى تشجيعى ورعايتى وتوجيهى.. حفروا رغم بساطتهم  
وتواضعهم أسماءهم فى قلبى، ولهم متحف مضى، فى روى يجمعهم فى  
مشهد رائع من الحب والحنان، لا أفتأ أدلف إلى ردهة هذا المتحف لأحى  
الأساتذة أصحاب الفضل وأنحنى لهم.

عندما حاولت الاشتراك فى المقاومة الشعبية مثل أخى فى أكتوبر ١٩٥٦  
والتدريب على السلاح لرد المعتدين، رفض الصول شوقى صديق والدى  
وقال: إن البندقية «اللى انفيلد» يا أبو محمود فى مثل حجمك ووزنك، وسنك  
لا تزال صغيرة، مع ذلك تسللت إلى معسكرات التدريب فى الجانب الآخر  
من الرياح التوفيقى فى عزبة سميت بعد ذلك الحرس الوطنى.. تدربت مع  
المدرّبين، لكنهم لم يسلمونى سلاحا وانضمت إلى المقاومة السلمية، وأغلب  
عملها التوعية وإطفاء الأنوار والإبلاغ عن أى غارات، طلب عم عبد الرحمن  
الخياط من أبى مساعدته لاستعادة فوزى من التدريب لأن الدكان يحتاج

بشدة إليه، وكنا كذلك.

الشعب كله يتحرك فى حماسة وإخلاص لصد من يقترب من مشروعاته الجديدة وتطلعه نحو المستقبل.. استيقظ الشعب مثلى على نداءات عبد الناصر الذى كان عملاقا يمشى بين السحاب، المصريون منتشون بالرأس! لرفوعة، والشمم الذى لم يعرفوه لقرون طويلة، فقد كانت كل الرؤوس فى التراب وتحت الأقدام.

أسرعت إلى الأستاذ ناجى أطلب منه أن يوفر لى الأدوات والخامات فسوف أرسم على سور المدرسة كله من الخارج مشاهد تاريخية مصرية، تنتهى باحتشاد المصريين لمقاومة الأعداء، وافق سعيدا واقترح ألا أكون وحدى، فاخترت لنفسى «الباكية» الأخيرة.. باكية المقاومة المعاصرة والتطلع إلى الشمس وانتشرت بعد ذلك فكرة رسم أسوار المدارس بيد طلابها.

تفتحت مع الرسم رغبتى فى القراءة.. أقبلت على مكتبة المدرسة ومكتبة المحافظة، أطلع القصص والأشعار وسير حياة العظماء، التهمت سلسلة أرسين لوين وروكامبول، وأجاثا كريستى، وروايات الجيب وروايات جورجى زيدان وقصص للجميع ومعظم أعمال طه حسين وتوفيق الحكيم والمنفلوطى وتيمور وسلامة موسى.. العقاد والمازنى.. قرأت تولستوى وسباتينى وألكسندر ديماس وديستوفسكى وجوجل وتورجنيف وتشيكوف..

سحرنى طاغور والشابى وهاشم الرفاعى وبيرم، بعد سنوات قليلة احتل شوقى الصدارة ولحق به شكسبير ولامرتىن وبلزاك وزولا وديكنز، وما أن قرأت الأساطير الإغريقية حتى أسرعت إلى التراث اليونانى والرومانى، أنهل من هوميروس وسوفوكليس وأريستوفانيس وأيسخيلوس، ثم قرأت مارك توين وصلاح جاهين وعبد الله النديم وعبد العزيز البشرى، ودانتى وإدجار آلان بو وشتاينيك وفوكنر وأقر القرآن والإنجيل والعهد القديم.

كنت أقرأ كتابا كل يوم على الأقل وأحيانا كتابين، فى حجم أحلام شهر زاد لطفه والبستانى لطاغور.. استدرجنى هذا العالم الساحر بقوة وحنان.. مغامرات هائلة تتوالى فى كشف أعماقها لى.. خدامها الطيبون يمون

أيديهم إلى ويصطحبونني في رفق، والموسيقى الأسرة تتسلل مع كل كلمة، رائحة الزهور التي لا أعرف مصدرها تحوم حولي وتمسح على بدني.. أيقنت أن هذا اللون من الكتابة هو العبقريّة الحقيقية التي تستحق الخلود. أيقنت أنني لا أملك الابتعاد لحظة عن هذا العالم، وإذا حدث هذا يوما سافقد الهواء الذي أتنفسه والماء الذي يرويني والغذاء الذي يطعم قلبي ويبقيني حيا.

أيقنت أيضا أنني فيما يبدو لم أقصد اختيار هذا العالم وإنما هو الذي اختارني بطريقته، كما تلهم الفتاة الجميلة التي تريدك أن تتقدم منها وتعلن أنك الذي تريدها، إنها الوحي الذي يتفجر بداخلك لتكتشف فجأة أنك في الحقيقة ومن زمن تعشق الجمال وقد أن تعانقه وتغنى فيه، لا أن تدنو منه وتتعرف عليه.

أيقنت سعيدا وشاكرا لله أنني التقطت الخيط الطويل الذي أدير به وأتابع بابتهاج انطلاق طائرتي الورقية الملونة في سماءات شاسعة ومحبة. لم تذكر أن البداية كانت مع موضوعات الإنشاء التي بهرت الأستاذ «قته» مدرس اللغة العربية، ودعته ليقتراح أن تتولى الإذاعة المدرسية، وشجعك على المزيد من القراءة، بل كان يعطيك بعض الهدايا من الكتب والنقود كلما قرأت كتابا مهما، على أن تطرح ما فيه على الطلاب.

شرح صدرى حصولي على بعض الجوائز المدرسية.. ومع أول سنة في المرحلة الثانوية كنت قد مللت الكثير من الكتب المكسدة في المكتبات العامة ببناها وسمعت عن سور الأزيكية بالقاهرة، فأسرعت أجمع مصروفى اليومي وفى صباح الجمعة أسنقل القطار إلى القاهرة، وعادة ما اختبىء فى دورة المياه أو تحت الكراسى، أو أركب قطارا مبكرا يقف بمحطات كثيرة حتى أستطيع الهروب من المحصل، وأحتفظ بالقروش لأحمل بها ما أشاء من الكتب التي تكون زادى طوال الأسبوع موزعة على أيامه، ومع يوم الخميس تكون قد انتهت لتبدأ رحلة جديدة مع صباح الجمعة التالى.

## نساء فكري

النساء.. النساء.. بدأ غرامه بهن وأضحاً منذ أول يوم، ومعظم المترددين نساء.. ينشرح صدره إذا كن من الصبايا اللاتي تخلط على وجوههن البراءة بالدلال.. السذاجة بالإثارة.

يسألهن عما يعانين، ويكتب مسمى الحالة.. مخص كلوى.. قولون.. خلع بالكتف، آلام في الظهر، أمراض نسا. بواسير. كبد، أنف، وأذن.

في البداية كان على أن أتأمل الأحوال وأسلوب العمل ومراحله. لكن فكري شغلني بطريقته الغريبة عن العمل، فأقبلت محاولاً تحليل نظراته وسلوكه.. أصابعه لا تتوقف عن برم شاربه البني الطويل المنتصب.. وهو مشغول طيلة الوقت بالأطمئنان على استقامته وسلامة السن المدبب كي تقف عليه عدة صقور، أدركت أنه يود استعراض رجولته، وعندما تقول له الشابة:

- فم المعدة.

يقول لها!

- قين بالطبط.

وإذا قالت: أمراض نسا.

يسألها:

- بتشنتكي من إيه بالتحديد. أنا هنا الكل في الكل. الدكتور يعتمد على

كلامى، غيرى مش ح يدلك على العلاج.

عندئذ - وفى الأغلب - تتثنى الأنثى خجلا وتكبح ابتسامه وبعضهن  
تحتد معه بكلمة:

أمراض نسا ويس.

وقد تكفى أخريات بالنظر شذرا إليه.

رأى أبى أن خطى ليس جميلا، كخطه..

تمنى أن يصبح أفضل لأنه - فى ظنه - جزء من الشخصية، طلب منى  
أن أقضى الإجازة الصيفية فى المستشفى للمشاركة فى تحرير تذاكر  
المرضى فى العيادة الخارجية مع فكرى.

أذعنت لأمر والدى، ورغبة فى التعرف على عالم ثرى يحتشد بالمفاجآت  
والحوادث والغرائب، كنت أتمتع بفضول كاف يدفعنى إلى قبول المهمة بدلا  
من الذهاب ككل عام إلى القرية.

لم أكن أتصور أنى سألتقى بشخصية متخصصة فقط فى عالم المرأة،  
وخاصة خرائط جسدها حتى إنه كان يفيض على بعلمه إذا خفت الرجل،  
فيعدثنى عن أنواع الصدور والمؤخرات والسيقان والشفاة والأرداف والعيون  
والأمخاذ، ودلالة كل تكوين على النفسية والطباع، وعلاقة ذلك بالجازبية  
والكفاءة، وكلما لاحظ احمرار وجهى وانكماشى، قال:

- أنا ارتحت لك يا فؤاد أفندى من أول دقيقة وعلشان كده بتكشف لك  
معلومات لن تجدها فى الجامعة.. العلم ده أهم علم فى الحياة..

ياخذنى العجب من ذلك الشخص الذى أثق جدا أنه مجذوب.. لكننى كنت  
مجنوبا إليه.

فى مرة قال لسيدة: أنا هنا الكل فى الكل.

واستطرد متوجها إلى:

- مش كده يا فؤاد أفندى.

فوجنت، واضطربت، فماذا أقول؟.. هو طبعا ليس الكل فى الكل.. وليس

شينا على الإطلاق، انحنيت أنظر فى الورق وأحرك رأسي وبيدي فى حيرة،

ودهشت لأنه قال لها:

- شفت؟

وعندما سألته بيني وبينه عن معنى أمراض نسا.

برم شاربه وقال:

- ما تستعجلش يا أبو محمود ح تعرف كل حاجة.. خليك بس مع عمك

الكرى وأنت تكسب.

تأتى أخرى لتشتكى من ظهرها.

- لازم بتستحمى كثير.

- أبدا يا خويا.

ويرى أن المساحة مازالت قابلة لمزيد من المعرفة.

- هو فيه ست مابتستحماش كثير؟!

- يعنى ح استحمى على المليون وعلى البطل.

- وبطل ليه؟

تنكسر مقاومة الست، وتنفجر الضحكة على شفيتها، فيحاول أن يواصل

الضغط ليسمع كلاما مسليا، ثم يفاجأ بمن تصرخ فيه

- ما تخلصنا يا فكرى أفندى..

لا يسأل فيها ويمضى بعدها محاولا الحصول على أى إجابات ترطب  
روحه الملول، وتتغش مزاجه الخامد، وإذا لم يجد إلى ذلك من سبيل، ينهض  
فجأة ويقول لى:

- اكتب أنت يا فؤاد أفندى..

ثم يصرخ فيهن:

- اكتب أنت لما أشوف الطابور الأعوج..

يبرم شاربه ثم يمد يده إلى أكتاف النسوة متحسسا أو باسطا كفه،  
ملاصا كتف الأولى.

- ورا الست دى.. وراها بالظبط.. شايفين إيدى.. اللي مش ح تكون فى  
الصف تمام حاجى بنفسى وأخرجها.

يتنبه إلى أنه يتحدث فقط مع النساء، فيقول:

- هنا طابور الحريم وهنا طابور الرجال، مش عايز الاختلاط.. أنا  
صاحى لكم.

وكانه يود أن يقول:

- أنا بس اللي اختلط.

أصبحت أذهب إلى المستشفى من أجل فكرى وليس من أجل خطى أو  
الحوادث والحالات.. فكرى لا يتوقف عن إثارة دهشتى فخياله خصب وحالته  
نفسها تحتاج إلى علاج، فقد زوجه أبوه من زوجته الدميمة رغم أنفه، وهو  
دائم السخرية منها ومن أهلها الأثرياء المتغطرسين.

أكتشف أن بعض الوافدات لسن مريضات، بل جنن إلى فكرى لأنهن أحببن كلامه وتطاوله الطريف، كما يجيب، هو كل يوم للتسلية والترويح. ويرفض أماكن أخرى للعمل فى المستشفى فقد تدر عليه بعض المال.. إنه يطمع فقط فى كلمة من هنا ولسة من هناك. وقد يكون هناك احتكاك أو دفعة فى الصدر أو غمزة عين سوداء، أو نظرة مسروقة إلى أعالي الصدور أو الرقاب المرمرية، أو أى بقعة من البقاع النسائية المثيرة لخيال الرجل خاصة فكرى.

قررت أن أواجهه بما بصدر عنه من تجاهل لبعض النساء، وقلت له إنه ظالم، فاندھش.. قلت.

- الظلم طبيعا هو ألا تعدل فى المعاملة.

- صحيح.

- طيب ليه ما بتعاملش المرأة العجوز أو غير الجميلة، أو البائسة بنفس

اللفظ؟

كان بالكاد يكتب أسماءهن بشكل سريع ولا يسألهن عن الأمراض، ويرمى لهن التذكرة فى الهواء... وإذا سألته عن السر فى أنه لم يسأل عن مرضها، يسرع قائلا:

- هو أنا دكتور.. اللى بعده.. وسعى يا أختى.

وهذا ما كان يحدث مع الرجال.

قال لى: بدمتلك يا فؤاد أفندى ترضى لى أن أتسامر مع الوحشة ولا

الكركوبة.. لا مالكتش حق.. وأنا اللى بقول أن ربنا بعث لى اللى يفهمنى.

ينهض فكري ليستكمل عمله فى الخارج وهو يبرم راية رجولته، ويدخل بسرعة إلى عالم النساء الذى يجد متعة كبيرة وهو يتمشى على شواطئه، وهو يحسب أنه يعوض افتقاره للجمال الغائب عن زوجته.

لذلك قال لى عدة مرات العبارة ذاتها:

- أوعى يا فؤاد أفندى تتجوز واحدة وحشة لأن أبوها غنى أو حتى وزير.. أرجوك..

- وإذا حصل يا فكري أفندى واتورطت.

- ح اخرج راسى من التربة وأقولك.

.. أخص عليك يا فؤاد أفندى زودت عدد الخايين.

لكنه سرعان ما قبض على يدي وقال. أمانة عليك ماتجيب سيرة للسيد  
الوالد أحسن ده صعب.

فكري أول من لفت نظرى للبنات والنساء وألقى على المحاضرات التى  
تؤهلنى لفتح كتابهن والدخول إلى عالمهن الثرى والعجيب.

بعد أيام من بدء دروسه ولطشات فرشاته الخبيرة على لوحة روحى  
الصماء، فوجئت بإحدى قريباتى تزورنا مع أهلها وتسحبنى للبلكونة  
والنسمة هفافة وناعمة، تقترب منى أكثر من اللازم والليل يقوم بمهمته فى  
حراسة أمثالنا. قالت

- هات بوسه .

يا نهار أسود. حصل لى زهول. كل معلوماتى عنها أنها فتاة محترمة،  
بالمناسبة، لم يقل احترامى لها بعد ذلك فهى فتاة جادة وعملية ومتفوقة فى

الدراسة ومطبعة لاهلها وبنيت بيتا سعيدا بعد ذلك.. ساعتها فقدت كل  
سيطرة على عقلى الذى طار وأخذ يتقلب فى فضاء الحيرة.

- مالك .. هات بوسه .

لم أشعر بلهفة وفرح كى أقبلها، لكنى شعرت بقوة الأمر، وضرورة  
الاستجابة.. دنوت منها وقبلتها فى حدها، فقالت لى وهى تزغدىنى فى كتفى:  
- مش كده.

بدأت أخرج من حصار الأمر إلى التفكير فى القبلة ذاتها.. تطلعت  
إليها.. وجدتها جميلة، عيناها واسعتان تلمعان فى الليل وكذلك شفاتها  
الدمستان المتوردتان.. هجمت على. وهى تقول  
- شوف إزاي.. كده.

انتفض جسدى وغابت الدنيا.. كدت أسقط من طولى، فقد غمرنى خمر  
القبلة واكتشفت أن البنات أروع بكثير مما كنت أتصور، اكتشفت بعد ذلك  
أن فكرى ليس تافها أو مجرد كيان هزيل، لا قيمة له، بل شخص موهوب  
وصاحب خبرة، تعود أن يتقن عمله وينقل إلى الأجيال الجديدة خلاصة  
تجربته الإنسانية المميزة.

هو دون أدنى شك ويون حلقان أهم أساتذتى وأصحاب الفضل على. الله  
يسامحه.

أنت لم تذكر لماذا امتنعت عن الذهاب للمستشفى رغم تعهدك لفكرى ألا  
تغيب يوما<sup>٧</sup>

كان يوما بشعا، انتهى العمل في نحو الواحدة ظهرا ومضيت كعادتي أرقب عباس أفندي أمين المخزن الذى يخطف ساعة من النوم فى مثل هذا الموعد، رافضا أن يضع وسادة أو كتباً أو حتى قالبا من الطوب تحت رأسه.. كان سميئا ورأسه مرفوعة عن الدكة الخشبية نحو ربع متر معلقة فى الهواء.. جلست إلى جواره أتأمل وجهه وأهش عنه الذباب.. كنت أحبه لأنه ابن تكتة وطيب إلى درجة السذاجة.

شق صمت الظهيرة صراخ النسوة وزعيق الرجال وأبواق سيارات الإسعاف. اندفعت مع المهرولين إلى حيث تجمعوا عند المشرحة، دفعنى فضولى للتصمص.. كانت أرض المشرحة، ذات البلاط الرمادى المتقيح غارقة فى الدماء وقطع الأجساد مرمية فى كل ركن. رأس هنا وصدر هناك.. ساق منفصلة عن القدم.. بطن مبقورة تتدلى منها الأحشاء، اكتاف وأذرع وأعضاء تناسلية منزوعة الرغبة.. مجزرة لنحو تسعة من الرجال..

أخذت أرتعد كاتى خاضع للتعذيب بالكهرباء.. المشهد فظيع.. تجمدت لا أستطيع الهرب.. تمنيت أن يتحرك كل عضو نحو الآخر حتى يتشكل الجسد من جديد ويغادر صاحبه المشرحة.. حدثت فى عيون ذات نظرات متوحشة.. فجأة أسرع عاندا إلى البيت، أجرى لمسافة ثلاثة كيلومترات قافرا فوق فلنكات السكة الحديد.

انفجرت فيهم قنبلة حملها معه ميكانيكى من العلمين.. كان يحاول أن يستخدمها، كوعاء لماء الجوزة!! ظل مشهد الجثث الممزقة يطاربنى شهرا حتى رسمته فى لوحة صاعدة. لكن مواقف وكلمات فكرى ظلت محفورة فى الذاكرة، لا تمحوها عوامل التعرية البشرية.

## فوزى

- أترك ما بيديك. وعلمنى الآن القراءة والكتابة.

دهشت، فلم يطلب هذا الطلب من قبل، وما سر هذه اللهجة الحاسمة؟  
كلما سألته.. استعجلنى للقيام بالمهمة، وكلما اعتذرت تشبث، فقلت:  
- لا بأس، تعال يا سيدى.

كان قد بلغ السابعة عشرة وأنا فى الثالثة الإعدادية، وقد بدأت مع  
فبراير ١٩٥٧ أرفع درجة الاستعداد للامتحان، اقتصررت على يوم واحد  
لمكرة وتخلّيت عن الرسم وأبقيت على القراءة الحرة خارج المقرر.

عاد فوزى من الدكان فى هذه الليلة محتقن الوجه، بادى الانفعال..  
أذعنت لرغبته لأننى أحبه، فقد كان وهو الذى يكبرنى بأربعة أعوام يحترمنى  
ويحافظ على مشاعرى. شرعت أشرح له الأبجدية، وبعض الكلمات البسيطة،  
ورغم أنه كان مجهدا بعد عمل شاق ينتهى كل ليلة فى العاشرة، إلا أنه  
تحمس واستوعب وسأل كثيرا وفرح، لأنه بعد منتصف الليل بقليل استطاع  
أن يقرأ: أب. أم. كتب. كنس. شرب. لعب ونام وضرب.

تركته ونمت وعند الصباح وجدته مستيقظا يقرأ عناوين الجريدة القديمة  
وبعض فقرات من كتب المدرسة. خرجنا معا.. هو إلى الدكان وأنا إلى  
المدرسة.. دهشت لأنه أنبأنى بأنه لم يتم حتى يتقن القراءة.. ولما التقينا فى  
المساء. سألته عن سر اللهفة على التعلم.. قال:

- زارنا فى المحل أمس مدرسان للجغرافيا لاستلام ملابسهما وكان  
باقيا بعض اللمسات فجلسا على كرسيين إلى جوارى وتبادلنا الحديث وكان

حول نور جمال عبد الناصر فى تشجيع حركات التحرر فى أفريقيا، وورد على لسان أحدهما أسماء بعض العواصم، ولاحظت أن بعضها خطأ، فذكرت له ما أعرف، نظر إلى باحتقار وقال:

- خليك فى حالك. كيف لك أن تعلم الصواب من الخطأ؟

كانت قد تكررت مثل هذه المواقف، لكن نظرات المدرسين أغاظتني جدا وجعلتني أكره نفسى، فقررت الحصول على شهادة.

كان فوزى بالفعل مثقفا، يتابع كل صغيرة وكبيرة من خلال الراديو الذى لم يكن يفارقه، فكان يعمل بتركيز شديد، يده بالإبرة تخطف الغرز وتخيظ الثياب، ربما أسرع من الماكينة، لكن أذنيه مع كل كلمة تبثها الإذاعة خاصة الأخبار والبرامج الحوارية حول مختلف القضايا الساخنة.

زارنا الأستاذ فودة زوج عمى وهو ناظر مدرسة ومثقف كبير وصديق حميم للأسرة، تهلل قلبه لأخبار فوزى وعاد بعد يومين ليقول أنه قدم له فى امتحان الشهادة الابتدائية نظام المنازل، وسوف يتفرغ لمعاونته، ليحصل عليها خلال الثلاثة أشهر الباقية.. أقيم المعسكر المسائى كل ليلة بعد أن يعود فوزى من العمل فى الدكان، فقد رفض والذى تركه المحل متشككا فى قدرته على النجاح، وحافظ عمى فودة على الحضور يوميا لشرح كل المواد الدراسية.. كانت المفاجأة نجاحه.

كان عمى فودة أجد النماذج العجيبة فى العائلة، فقد كان وهو طالب يصر على أن يجمع حوله أولاد القرية ويعلمهم ثم يمضى لحل المشكلات العائلية والتوفيق بين المتخاصمين، ولما أصبح مدرسا خارج القرية كان يعود إلى البلد لا ليرتاح ولكن ليمر على الطلاب لمساعدتهم ويرفض سيرة أى مليم يمكن أن يأخذه، وعندما سكن إلى جوارنا فى بنها وأصبح ناظرا ثم مديرا للإدارة التعليمية، ظل كما هو.. يمشى فى الشوارع ليساعد الناس، وهو فى الغلب لا يعرفهم، ويبحث لهم عن مصالحهم لدى موظفين لا يعرفهم.

كان من عائلتنا أيضا طبيب مشهور فيه السمات ذاتها، يخرج من المستشفى ليمشى فى الشوارع بحثا عن المرضى ويعالجهم مجانا أو بقروش قليلة للغاية، وكم قابلته وهو يلف فى الحوارى بحثا عن شخص كان منذ أسبوع قد سألته عن دواء لقم المعدة أو لتعب الكلى أو للأنيميا وقد حصل على الدواء ويود تسليمه وقد نسى اسمه وشكله.

تجده وهو يشتري ساندوتش الطعمية بنفسه يقول للبائع:

- عدى على فى العيادة أول ما تقضى.. أنت عينك صفرا.

يفعل ذلك مع بانعة الجرجير وبائع البلية وسائس الموقف والمسحراتى.

كيف تجتمع هذه النماذج المتناقضة فى عائلة واحدة؟

بشر فى منتهى الكرم والتضحية.. وبشر فى منتهى القسوة والأنانية..

بشر فى منتهى الذكاء والعبقرية، وغيرهم على درجة عالية من الغباء.

فى السنة التالية قدم عمى فودة لفوزى للحصول على الشهادة الإعدادية

بنظام المنازل، وكنت فى السنة الرابعة، أقيم المعسكر من جديد ليضم نحو

سبعة يسهرون فى بيتنا.. ستة فى السنة الرابعة وفوزى وحده فى الأربع

سنوات مجتمعة مع عمله بالنهار فى حياكة الملابس، وكانت المفاجأة التالية

والرائعة نجاح فوزى بتفوق ونجاح ثلاثة من السنة.

عندئذ رأى والدى أن يترك فوزى الخياطة ويتفرغ للدراسة وكان قد بلغ

الثامنة عشرة، وهو من مواليد أكتوبر فلم تقبله الثانوية العامة التى رفض

أبى دخولى إليها كى أصحب أخى إلى الثانوية التجارية فاذعننت.. كنت أود

بشوق بالغ دخول الثانوية لأمضى إلى كلية الآداب فهى التى تتناسب وميلى

للأدب.

كان فوزى دائما وفى كل عام هو الأول، يحصل على أعلى الدرجات فى

كل مادة، ولا يكف عن مناقشة الأساتذة والجدال معهم، فقد كان ياكل الكتب

أكلا ويشترى بمصروفه كتباً أخرى للدراسة ذاتها، حتى أمكنه أن يحصل

على الدبلوم بتفوق فكان الأول على القليوبية والسابع على الجمهورية.. أرسلت إليه عدة بنوك تطلبه للعمل فاختار البنك المركزي وحصل على بكالوريوس التجارة ودبلوم فى الاقتصاد ودبلوم فى الدراسات الإفريقية، وقد حالت مشاركته فى تأسيس بنك فيصل فى مصر والعالم العربى دون استكمال رسالته للماجستير، ولم يمهله العمر بعد ذلك بسنوات قليلة ليحقق ما خطط له من آمال عريضة، ومنها مشروعاته الخيرية التى بدأها وأثمرت خيرا لأولاده بعد رحيله.

لقد نسيت ولعلك تعمدت أن تنسى موقفا لأخيك لا يستحق أن تتجاهله،

- لا أذكر، أو لا أعرف أى يوم بالتحديد.

- يوم ظهور نتيجة الدبلوم.

كان عام ١٩٦٦ من الأعوام التى حفرت بصمتها على خريطة حياتى.. ذاكرت فيه بإخلاص ودأب لأحصل على الدبلوم، وكانت المدرسة جميعها تستشعر قدراتى وأخى، واستعد المدرسون والناظر الرائع صبحى ميخائيل ليتلقوا فى نهاية العام خبر فوز أحدنا بالمركز الأول على مستوى الجمهورية. أوشكت أن أكون وأخى أبرز الطلاب فى جميع المواد وفى مقدمتها اللغات الثلاث، كما كنت ماهرا فى المحاسبة والاقتصاد وأعمال البنوك والسكرتارية خاصة أننا قضينا الإجازات جميعها نتدرب فى البنوك.

أنت لا تتمتع بألدقة الكافية فى سرد الأحداث، فلم تكن مخلصا تماما للدراسة، بل كنت مشغولا بعض-الوقت بكريمة تكتب لها الشعر كل ليلة، كما أنك لم تقطع علاقتك تماما بالقراءة الحرة.

لم تحرمنى كريمة من حنانها وتشجيعها، ومرورها على بعد منتصف الليل أغلب الليالى، وكان طبيعيا أن أكتب لها بيتين أو ثلاثة بين الحين والحين. هل كان من الواجب فصم العلاقة تماما وهى النافذة المضيئة فى حياتى وهى منبع الغذاء الروحى ومصدر النسيم العليل، وما كنت بقادر على

نن أهجر أحبابي من الكتاب والشعراء.. كل شيء قابل لأن يتبدد مع الريح ومع الزمن إلا تجليات القرائح وجمال الكلمات المجنحة التي تعيد صياغة الحياة على نحو جديد ومركب، مضافا إليه عشرات الملكات، نازعة لفتانل المواهب المتفجرة بالإبداع لتجدد الدائرة المنتجة لشرارات الخلق الرائع لعالم نبيل تعجز عن تحقيقه حتى الأديان السماوية، لأن الملكات تصنع منظومة باهرة الاكتمال.

فى الليلة السابقة على ظهور النتيجة سهرت مع نيشة لأعرف ماذا قال له زردادشت، لقد أسرنى هذا المجنون العبقرى كما أسرنى ألبير كامى وديستوفسكي، وتمنيت أن أكون مجنونا مثلهم ومازلت أتمنى، ولكن الوقت فيما يبدو قد فات وأفلتت الفرصة، ولم استمتع بهذا الشرف ولم أمنح هذه الهبة التى مكنت المجانين من تطوير العالم وتوصيله إلى ذرى المجد أو تدميره، وبعض التدمير مجد.

عندما استيقظت كان فوزى إلى جانب سريرى.. قال:

- لقد سألت عن النتيجة وعلمت أنها ستعلق مع الظهيرة، وأنا أود أن أعزمك على «كابتشينو» فى النادي.

يعلم أنى أحب الكابتشينو.. لم تكن لى طقوس خاصة كى أفيق. مضيت معه إلى النادي المطل على النيل.

- التعليم.. ليس كل شيء.

أدهشنى عبارته رغم أننى كنت ما تزال نصف نائم، فاستطرد:

- أقصد أن أهم من التعليم الإرادة.

- التعليم وسيلة والإرادة منهج، وصفة طبيعية قد لا يمتلكها الجميع.

قال: من ملك الإرادة لا تقف فى طريقه عقبة، ولا تهزه الأحداث، والنبته لا بد أن ترى النور حتى لو كانت فى صحرة.. إنها إرادة الطبيعة.

انشغلت عنه بالمشروب اللذيذ الساخن، ومضى يحدثنى عن الحياة والأمل

، واللبل الذي لابد أن يأتي مهما طال النهار، والعكس وراة بنفس الثبات..  
قلت له لقد بذلنا جهدا كبيرا هذا العام، فما هي توقعاتك؟  
قال: ما دمنا قد بذلنا الجهد فلا تعينى النتيجة، سوف يكون ضميرى  
راضيا.

بعد حديث سخييف وثقيل الظل نهضت مصرا على الذهاب لمعرفة  
النتيجة، لم يحفل بنهوضى وقال بلا مبالاة، هيا بنا نستأجر زورقا وتجذف  
قليلا فى النهر.

قلت له مداعبا: أنت الآن تجذف.

سألنى: هل تؤمن بالقدر؟

- جدا.

- بنسبة كم؟

- إنه لا يكف عن العمل.

- لكن الإنسان.

- أحيانا يصنع المعجزات متلك.

ضحك بلا حماس، فمددت يدي إليه وجذبتة لينهض.

قلت له: هيا لنعرف النتيجة ونفرح أبى وأمى.

قال: النتائج ليست شاغلنا.

حدقت فيه مندهشا، وقلت:

- واضح أن أحدا أعطاك حنة حشيش.. مالك يا فوزى.

أمسك بكتفى وقال فى منتهى الرقة.

- لا تحزن يا فؤاد.. أنت رسيت.

لم تستطع قدماى أن تحملانى.. جلست وقد أصابتنى شبه غيبوبة.

## بهجة الخوسينيات

لفت الهدهد نظري ونظر أصدقائي وأكثرهم من الجيران السودانيين ..  
هذا الاعتداد بالنفس، والإحساس الزائد بالكرامة .. الرشاقة والجمال ..  
غرابة التشكيل في الرأس والجسد واللون .. العرف المشرشر والمنقار  
الطويل المستقيم .. الحساسية المرهفة لكل صوت وحركة .. قفزاته التي  
لا تكاد تلمس الأرض، قال عثمان السوداني :

- من فيكم يستطيع صيده ؟

صمتنا جميعا .. ثم قال محجوب :

- أنا .

قال عثمان

- من يصطاده أعطيه هذا الخاتم .

تحولنا جميعا بعيوننا إلى يده حيث يبرز فيها بوضوح خاتم قضى بقص  
أبيض .

قال جميل :

- أنا أصطاده، ولا أريد الخاتم، بل أريد شيئا آخر .

سأله عثمان .

- ما هو ؟

قال جميل .

- كرباج الصول سر الختم

الصول والد عثمان من الهجانة الذين كانوا أداة السلطة في عقاب  
المصريين وبالذات الفلاحين، وبعد الثورة انتهى بورهم تماما، ولم تطلب  
منهم الحكومة مغادرة البلاد، لم يفكر أحد منهم إلا القليل في العودة إلى  
السودان، فمعظمهم أحب مصر وارتبط بعلاقات مودة عميقة وأواصر قوية

مع إخوانهم المصريين . قضينا ليالٍ طويلة نستمتع إلى حكاياتهم عن أمالي  
الخرطوم وأم درمان .. جذبتنا الأغاني والقصص والرقصات والعادات  
الغريبة علينا .

اندفعنا جميعاً نقول دون تفكير

- نعم .. من يصطاده يحصل على الكرياج .

اضطرب عثمان ، ثم قال : كرياج أبى ليس لعة .  
سأله جميل .

- ما قيمته بالنسبة لأبيك ؟

صمت عثمان لحظة ، وبدا كأنه فى موقف حرج ، تلملم ثم قال وهو يفتح  
عينيه إلى أقصاهما :

- أبى يقرط فى أى شيء إلا الكرياج

قال جميل :

- هذا شرطى .. سوف أسلحك الهدهد وتسلمنى الكرياج .

سأله محجوب : ولماذا تريد الكرياج بالذات يا جميل ؟

لم يجب جميل ، ولكنه وجه نظرات ذات معنى لعثمان فتذكرت أن عثمان  
وجميل قد تعاركا منذ أيام ، أسرعت أقول :

أنا أصطاد الهدهد وأحصل على الخاتم .

اندفع عثمان قائلاً ، كمن أطلق سراحه :

- إننى هيا .. من يسلمنى الهدهد أسلمه الخاتم.

أمسكت بكم جميل وجذبتة فأطاع .. توجهنا جميعاً إلى الجسر الرملى  
العالى حيث كان يمر عليه خط سكة حديد الدلتا ، وكنا قد تعودنا أن نرى  
الهداهد تحط عليه وتتجول ، تلتقط الحب المتساقط من الركاب .

أسرعت إلى البيت فأنحضرت خيطاً وربطت فى طرفه حبات من القمح  
والفول وغيرها ، وأحضر جميل نبلته . وأحضر محجوب صفحة من الكرتون  
مدهونة بالصبغ ونثر عليها القمح .. قال عثمان لنا :

- المسافة بين كل منكم لاتقل عن ثلاثين متراً .

عندما اقتربنا من الجسر شعرنا بأن الشمس قاسية جداً والحرارة

لاهبة، رجعنا إلى الشجر، ناوى إلى ظله، فى انتظار ظهور الهدهد، وعندها  
يرمى كل منا شركه .

مضت الساعات ونحن وقوف ولم تأت الهداهد، وعاودنا التجربة فى  
اليوم التالى . جاءت المخلوقات الجميلة فتهادت وتمايلت فى ثقة وبرايت حيلنا  
ولم تحفل بها .. مضت تلتقط ما تجده وما يروق لها وتلفت بسرعة. لم تفكر  
فى أن تعير شراكننا أى اهتمام .. تجددت المحاولة فى اليوم الثالث ، فلم  
تعبأ، وجربنا فى اليوم الرابع الهجوم المباشر فلم نفلح .

عرض علينا عثمان بعد أن خاب مسعانا أن نمسك بحدأة، فلم يرحب  
أحد باللعبة، ربما يأسا لكنى وافقت، أحضرت فى اليوم الموعد كتكتوتا  
أصفر وربطته بحبل وعرضته فى فضاء قريب من الرياح التوفيقى .. مضت  
الشمس تحرق الكتكوت وتحرقنى وأنا صامد، بينما الأولاد الأشقياء  
يضحكون .. ظهرت الحدأة أخيرا فتأهبت، وما أن انقضت على الكتكوت  
الوحيد الذى رضى مرغما دخول التجربة التاريخية الفريدة للامسك بالطائر  
العنيد حتى هجمت عليها، وبالكاد لمست جناحها، وكنت قد انتظرت حتى  
أصبحت على بعد متر واحد من الفريسة الضئيلة .. لكننى وجدته نفسى من  
شدة الاندفاع منكفئا على بطنى مغموس الوجه فى التراب، والضحك يتعالى  
وأنا أبصق التراب من فمى والتفت بحثا عن الكتكوت فلم أجده، ورأيت  
الطائر البارح يقبض بأظافره على الكتكوت الجميل الذى كنت قد سرقتة من  
عشة فراخنا، وكان ضمن خمسين اشترتهم الوالدة قبل يومين، ويمتلون  
أحدث دفعة لتزويد البيت بالبيض واللحم بعد شهور، لكن هذا الكتكوت  
بالذات، كان قد استحوذ على حبى، لأنه سريع الحركة منحول الرقبة ويتمتع  
بشخصية واضحة يبدو أنه سيصبح ديكاً فى المستقبل ويمارس دوره كأحد  
القيادات البارزة فى عالم النواجن .. لقد أسأت التصرف بون شك .

ندمى الآن مضاعف وعلى الآن أن أبحث عن وسيلة لإنشاء أمى بغياب  
الكتكوت فى ظروف غامضة، لأنها تعدهم كل ليلة .. على أن أبحث عن أى  
سبب لفقدانه، وليس طبعاً بإبلاغها الحقيقة، فهل بأيدينا نحمل الأحباب إلى  
الأشرار؟! لقد كانت التضحية بالكتكوت إحدى سقطاتى الثقيلة، ولقد

حالفنى التوفيق فى تأليف عدة قصص تحكى ظروف مقتل الراحل الكريم لأحكى لأمى واحدة منها، ليس فيها أى ذكر للحدأة، ومضيت إلى الوالدة أحمل إليها أسفى لما عاناه الفقيد بعد أن جددت القصة المقنعة، لكنى اعترفت لها فى آخر لحظة بما جرى بالضبط.

نظرت إلى كعادتها طويلا بعتاب صامت .. أحسست بنظراتها اللائمة كأنها تمسك بسن سكين تمر به على جسدى كله دون أن تضغط، لكننى كنت فى حالة خوف حقيقى وإحساس عميق بالذنب، ثم أعلنت قرارها أخيرا:

- لن تخرج يومين على الإطلاق إلا لمطالب البيت .

تهددت فرحا .. لن يضايقنى القعود فى البيت، وهى تعلم ذلك .. سوف أرسم وأقرأ وألعب مع نفسى الشطرنج وأصعد إلى السطح لمشاهدة الحمام والأرانب .

بعد يومين، قالت أمى :

- هيا ارتد ملابسك سنذهب إلى السينما.

كانت تحب السينما، ونذهب سويا إليها مرة كل أسبوعين على الأكثر .. السينما كانت وربما مازالت أجمل فواكه الثقافة والجمال والترويح .. غزل البنات، يا حبيب الروح. صراع فى الوادى . الاسماعيليات . ليلي مراد وفاتن وهدى سلطان وفريد .. الأفلام الأجنبية ونجومها، جاك ليمون .. كارى جرانت .. جارى كوبر... بيتى ديفيز .. شيرلى تمبل .. اليزابيث تايلور .. صوفيا لورين .. كيم نوفاك .. يول براينز .. جريجورى بيك .. أورسون ويلز .. أفا جارنر .. كيرك دوجلاس .. بيرت لانكستر .. إستر وليامز .. مارلون براندو .. العالم دون سينما يخلو من الجمال والإلهام .

أتصور أن أجمل شىء الآن فى الدنيا هو السينما .. أحببت الأدب جدا بوصفه فرداً عزيزاً من عائلتى، لكن السينما فتاة جميلة مجانية وثائرة .. تطير وتحلق وتحلم وتتخيل كما تشاء .. فتاة تحتشد بالحرية وتتفجر بالجمال وتحتوى العالم .. أنكر ولازلت جمال الظلام فى نور العرض، وسحر جدرانها وحلاوة روادها المجتمعين يقزقزون اللب والفشار،

يتكئون ويشربون العصائر وينالون ويتهاشون، ويتهايمسون تعليقا على ما يقال .

لم اكن اود ان ينتهى الفيلم خاصة الاجنبى إذ اكون مغموساً فى الصورة المحملة بالجمال والخيال والشخصيات والأحداث والحركة وبنفوان الطبيعة .. أتوحد مع الطيبين من الأبطال وأتعاطف مع الضعفاء وأتمنى من كل قلبى أن يموت الأشقياء من الطغاة والمجرمين .. أنسى تماما ما كان قبل دخولى . بل أنسى أنى جامع أو خائف، أنسى أهلى والمدرسة والكتب والكرة والسياسة والناس . وعندما أخرج بصدمنى النور والحركة والشارع المنوتر .. أحتاج إلى وقت كى أتكيف مع عالم جديد مختلف ومفتقد للجمال . قلماذا كنت أستشعر الجمال منذ قليل فى فيلم تملأه أحداث القتل والخطف والحرب والدمار؟ إنها السينما . ذلك الاختراع العبقري الذى لم ينسخه ابتكار آخر حتى الآن .. لابد ان أتعلم سينما .. لابد .

بعد أيام عاد عثمان ليطلب إلينا متحديا قتل الخفاش .. فزعنا جميعا ورفضنا . فقال إنه مستعد لذلك، وسوف نلتقى عند المطحن المهجور بعد أتريب وسنتجنب طبعاً طريق المقابر . تجمعنا بعد العشاء لمشاهدة التجربة المثيرة، وكلما طال بناه بالتحرك نحو الباب المخلوع للمطحن، ارتعدت وأهتزت البندقية الرش التى كان يحملها وكان أحد أقاربه قد تركها عنده .. مضى الوقت ونحن نشجعه وندفعه .. كان البعض يزنبون له التقدم وطرد الخوف من التجربة، إلى أن قال محجوب : هيا بنا نعود يا أولاد .. الخفافيش لابد غادرت المطحن . لكننا فوجئنا عندما تحركنا عاندين بالعشرات من الخفافيش تهجم علينا وتطارنا، فأسرعنا نركض فى فزع وأكثرنا وقع، وبعضنا صرخ، وجريت حتى سبقتهم وكتمت كل مخاوفى .. لكن قلبى كاد يتوقف عن النبض .



## الحب الأول

فى لىالى صيف ١٩٦٠ . كنا نسهى فوق سطوح بيتنا بالقرب من النيل، نستمع إلى أم كلثوم تشدو بأغانىها العاطفية التى تنفذ إلى الوجدان، وتحىى القلوب وتفتح للأرواح أفاق الحب والخيال والجمال.. نبرات صوتها وشخصيتها مع حلاوة الكلمات وعمقها، وطزاجة الألحان تثير الشجن وتحرك العواطف الخامدة، كنت أتمثلها وأنا أستمع إليها كأنها واقفة أمامى فوق قمة عالية أو كأنها نخلة سامقة، وأحياناً أستشعر أنها تهبط من السماء إلى المسرح ثم تعود إليها محاطة بالملائكة، وفى كل الأحوال أحس أنها مثل عنخوتات مختار .. معلم مهم جداً من معالم الدنيا بسبب هذا الوهج الإنسانى الذى يشعه صوتها محملاً بعبق الشعر وسحر الموسيقى .

الأهات، الأمل، يا ظالمنى، يا هاجرنى، قصة حبى، رق الحبيب، عودت عىنى، دلىلى احترار، النيل . هو صحيح الهوى غلاب، الشك، ولد الهدى . لسه فاكىر . سلوا قلبى . الأولة فى الغرام . أروح لمن . مصر تتحدث عن نفسها .

فى الخميس الأول من كل شهر يسهر تقريبا العالم العربى كله مع أم كلثوم التى تتحول سهرتها إلى حفلة سمر ممتدة من المحيط إلى الخليج، وهى إلى جانب ذلك نزهة ووليمة للبسطاء والفقراء، نسهى نحن فوق السطح ويرطب أبداننا النسيم العليل، بينما القمر الحائى يتروى فى عبوره لعله يلتقط بعض الأنغام الأسيرة-

أمامنا السودانى واللبن وعدة الشاى وأحياناً الكوتشينية والدومينو .. أسرتنا مكونة من أبى وأمى وفوزى ونازك وفتحى والرضيعة عواطف أختى الوحيدة، نازك رجل أقسم أبى قبل مولده أن يسمى القادم مهما كان نوعه باسم جارتنا التى رعت أمى طويلاً وأخلصت فى صداقتها بشكل نادر،

وإعجاباً بها أصر الوالد . بعناده التاريخى حتى بعد أن أبلغوه الخبر - أن يحمل المولود الذكر اسمها .

أم كلثوم تمسك بنا جسدا وروحا .. عقلا ووجدانا .. تشاركنا السهر بعض السيدات والبنات من الجيران اللانى لايملكن راديو ، هذا إذا لم يكن أبى موجودا .

كانت أجمل عاشقات الست شابة فى التاسعة عشرة .. جميلة وفائرة . خفيفة الظل ومشرقة .. تتميز قليلا عن الأخريات بعدم قدرتها على تحمل حرارة الطقس فتكشف قليلا من لحم الذراعين والصدر، نبهتها أمى عدة مرات، لكنها لم تكن تستجيب وتدعى النسيان .

أنا فى السادسة عشرة يشوقنى أن أرقب الأنثى، وكريمة ذات جسد ريان وقوام ملفوف ، ترتبط فى ذهنى بالمطربة صباح وهى فى ذروة الشباب .. أحرص على القرب منها بأى وسيلة فإن لم ألسها شممتها . ولجسدها رائحة عطرة ليست ككل الروائح .. كم تنفستها وغذيت جسدى وخلايى .. طويلا كنت أهدق فى لحم الذراع وأنفذ فى ذراته المثيرة .. أغيب عن أم كلثوم حتى تستردنى بعبارة هاتجة يعلو معها اللحن الذى يجرجر الشاردين .

كان الجميع يرحب بها فهى تميل إلى المرح، وبها قدر غير قليل من الجسارة أو الصراحة والوضوح، تعلق على وقفات أم كلثوم ولزماتها ، تنحنى أو تميل وتسهب عن نفسها، يتراجع الثوب قليلا عن الساقين، فتغيب أم كلثوم ويغيب الحضور، وأتقلب داخل مراهقتى، فلا أملك مقاومة استراق النظر وأكتشف ذلك الدبيب فى صدرى، ثمة نمل كبير أو ما يشبهه يمشى تحت جلدى وفى أعضائى .

الصيف وكريمة، القمر والنسمات، أم كلثوم وعبق الغن وسحر الأنوثة المتأججة . اكتشافى الجديد لجسدى الذى لم يكف عن فضح خباياه فى مدد وجيزة منذ بدأ مشروعه السرى مع فكرى، المعلم الأول قبل أرسطو .. ترعى

ذلك كله وتستقبله بحنان وجمال وعمق صفحات من الكتب أقرأها .. يشرع خيالي في الانطلاق هائما هنا وهناك حتى ليعانق الأشجار والأطيار والنجوم والترع ، وتلك المزروعات الواعدة تفرش خضرتها النضرة على وجه الحقول .

كتبت عن كريمة قصيدة صغيرة وكان يجب أن أكتب حتى لو لم أكن أدري من أمر الشعر شيئا .. استقبلتها بتحفظ .. كتبت ثانية فسالتني عن كاتبها . قلت لها : أنا .

تولتها الدهشة لأنها بالفعل تحوى وصفا للمامحها وجلستنا والحضور .. فوجدت بها بعد منتصف الليل تنقر على شباكي وقدمت لى قطعة كبيرة من البسبوسة، وابتسمت لى ابتسامة لم ألتح مثلها من قبل . قالت إنها صنعتها خصيصا من أجلى ..

تاملتها طويلاً ووددت عناقها فما اسطعت .. أقبلت عليها ألتهمها باستمتاع، لكن ببطء .. ألوكتها فى فمى قطعة بعد قطعة كائى أسألها عن الأصابع التى صنعتها ، وهل تذكرتنى وهى تضع المقادير وتسويها فى الصينية .. قبل الصباح كنت قد انتهيت من قصيدة «البسبوسة» .

فى ليلة تالية جاعنى النقر الجميل يؤنس وحشتى ويوقظنى حتى الصباح .. مدت إلى يدها اللدنة واهبة الحياة عبر النافذة، فمدت يدى وظللت متمسكا بها وهى تتطلع إلى بنظرات بدت حائرة .. شردت ثم سحبت يدها وغضت طرفها واستدارت عائدة ، وعند باب بيتها الذى يواجهنا توقفت، ثم عادت وكنت فى انتظارها أتابع خطوها وأشحن بطاريتى من مرأها البديع . مدت يدها بلفة ورقية صغيرة وجدت بها ساندوتش كفتة بعد أن أكلته كتبت قصيدة جديدة لا علاقة لها بالكفتة .

كتبت لها وعنهما قصائد كثيرة، لكن الكلمات كانت عاجزة ولا تملك القدرة على وصف جمالها وشعورى .. أصبحت متعبداً فى محرابها أفكر فيها طيلة النهار وأسهر من أجلها الليل .. حياتى كلها تحط على شواطئ عينيها

وأيامى تتحدد بدقات قلبها . السعادة تغمر العالم إذا ابتسمت، أما جسدها  
البلغ الريان فقد لاعبنى كثيرا وعبث بى ذلك المتوحش ممزق الفساتين.. كم  
تقلبت على وهج فورانه وجموحه؟ .. صدرها الشقى يطاردنى ويجتذبنى إليه  
.. لا يفتأ يطل على من مكنه ويخرج لى لسانه .. الخصر النحيل والقوام  
الوشيق.والشفاه المتأججة القانية المكتنزة المتأهبة للالتهام اللذيذ .. كل ما  
فيها مدجج بالإثارة واللهب .. إن عشقنا فعزنا أن فى وجهنا نظر .

لم تذكر إنك حاولت أن تقبلها فى داركم بعد أن مهدت الملعب ووزعت  
بكل دهاء سكان الدار جميعا ، لكنها لم تمكنك وقبعت وحدك تلوك الخيبة  
والندم، وحاولت مرة ثانية وثالثة، إلى أن حسمت أمرك بالغضب والاختفاء .  
تجاهلتك أياما حتى اسودت الدنيا فى وجهك، وتخلصت من عذاباتها  
بقصيدة عتاب وعهد على الحب العذرى، فعادت وعادت معها الدنيا المشرقة.  
طرت فرحا واصطحبتها فى نزهة على نيل وافرة البهجة .. اشتريت له  
الذرة المشوية وغزل البنات والترمس .. هى تأكل وتضحك، وأنت تطيب  
وتسبح فى حلم برىء ولذيذ.

فوجئت بعد أيام بمدرس التربية الرياضية بمدرستي قد تقدم لخطبتى  
ووافقت الأسرة.. أسقط فى يدي فقد رأيتها فرحة.. سألتنى عن رأى فيه  
تركته ومضيت إلى النهر أشكوها.. كان الرجل حتى الدقيقة السابقة على  
هذا الخبر مهذبا ومحترماً، فجأة رأيت شخصاً سيئاً وانتهازياً، خاطفاً  
لأحلامنا ومقتخماً عش هوانا . أقبلت على القراءة ودفنت مناساتى فى لعب  
الكرة حيث أبذل مجهوداً بدينا كبيرا يلهينى ويهدنى . ولأول مرة يخطر  
ببالى أنها أكبر منى بثلاث سنوات، فهل لهذا أثر ؟

الغريب أنها بعد خطوبتها بأيام أتت فى الليل ومدت يدها إلىَّ بتفاحة .  
فرحت بئقرها على شباك قلبى .. قالت لى : أرجوك لاتغار منه . أنت لك  
مكانة خاصة، عاد إلى توازنى النفسى .

فى اليوم التالى دعتنى لنزهة على النيل سرنا معا نتحدث فى كل شىء

وأقرأ عليها آخر ما كتبت، أمسكت يدها فجعلت فى البداية ثم استسلمت ..  
أشترت لها ذرة مشوية وترمس وأهديتها وردة بعد أن قبلتها قبلة طويلة ..  
الوردة، سرنا مسافات طويلة، درنا تقريبا حول بنها العسل .. المدينة الحبيبة  
.. السير على ضفة الرياح التوفيقى أوصلنا إلى أتريب ثم إلى مدرسة  
البنات الجميلة، وإلى كوبرى بنها .. كوبرى الغرام .. فى الواقع وفى الأفلام  
.. دهشت عندما علمت أن مدرسة التجارة نمشى لها شمالاً داخل غابة من  
الهيث نحو نصف كيلو . سرنا على كورنيش فرع دمياط وأخذنا فلوكة  
وغنينا معا بعض الاغانى المشتركة «نويتو» وضحكنا كثيراً .. نفذنا من  
جانب مسجد الضعيف إلى شارع اللحم والسوق ومقهى الثلث والنفق ..  
صعدنا جنوبا فى شارع الجيش . شربنا سينالكو واشترت اللب  
والسودانى .. وصلنا الرياح ومررنا بالسجن والمحلج حتى شارعنا .. وقفنا  
على سفح طريق الدلتا الرملى لا أود الفراق .. أبقت يدها فى يدي طويلا، ثم  
تسلت من روى عائدة وحدها إلى بيتها .. يالحلاوة الحب وبالروعة القلب  
الحب المخلص! انتعشت روى وغادرت حالة اليأس- لقد استعدت قلبى  
وحبى والأمل .

عندما وصلت البيت وجلست وحدى تناهى إلى صوت أم كلثوم كالسلك  
الشانك يمر على حريز وجدانى .. أكاد أشك فيك لأنى أكاد أشك فى نفسى  
وأنت منى .

بعد أيام اندفعت داخلة علينا وطلبت أن أرتدى ملابسى على عجل  
وأصحبها إلى المستشفى، يمزق بطنها مغص .. فى ثوان معدودة كنت معها  
على الطريق .. استدعيت عربية حنطور .. رحب بى من يعرفوننى من زملاء  
أبى فى الاستقبال .

طلب الطبيب الشاب من كريمة أن تنام على منضدة الكشف وتعزى  
بطنها .. تدخلت .

- إلا هذا .. يكفى أن تقول لك ما تحس به .

ضحك الحاضرون الذين يعرفوننى واندھش الطبيب .. أوضحوا له أننى ابن حضرة المعاون .. حاولوا التوسط بينى وبين الطبيب . لم أتنازل عن موقفى وهو الإصرار على عدم كشف أى شىء من جسدها الذى هو جسدى . أقصد ملكى .

قال عم حسين :

- لانتلق يا فؤاد أفندى ستكشف بطنها تحت الملاء البيضاء .  
واقفت .

مد الطبيب يده تحت الملاء .. اندفعت أقول :

- لا .. هذا لا يكون أبدا .

تنبھت أن كريخة تقبض على أسنانها ألما وضحكاً :

تأفف الطبيب وتبرم ونظر إلى المرضين .. قلت :

- ألا تكفى السماعه ؟

قال فى شبه تحد :

- لا .. لن تكفى .

قلت :

- اكشف أنت بالسماعه وأضع أنا يدي وأحكى لك ما أحسه .

ضحك الجميع حتى الطبيب وظللت وحدى جاداً وحاداً ، عباس الوجه متبها لبضاعتى .. اكتفى الطبيب أخيراً بالسماعه وهو ينظر إلى فى شبه إشفاق . أخذ يسألها عما تحس به وما أكلته . والسخن والبارد .. النوافذ والسوابق المشابهة . حتى توقف واستدار ليكتب الروشته فتنفست بعمق . أمر بإعطائها حقنة مسكنة .

رفعت الملاء وسوت ملابسها وشعرت عندئذ بالانتصار .. شكرت الطبيب .

فقال على وسألنى :

- هل أنت خطيبها ؟

سألته .

- لماذا تسأل ؟

قال

- لأنها تلبس دبلة وأنت لا تلبس .

نظرت إلى أصبعي .. لم أعرثر على الإجابة الملائمة .. غادرنا المستشفى يعد أن شكرت زملاء والدي الذين كانوا لا يزالون أسرى كريمة الضحك.

فى عصر اليوم التالى قال والدى :

- عجبك ما حدث بالمستشفى أمس ؟

سألته وأنا أنكس رأسى :

- هل شكى أحد منى ؟

- لا .

قلت : أنت تعرفهم ببالغون، ويصنعون من الحبة قبة .

أشاح بوجهه، وعلمت أنه أفضى بمخاوفه واستيائه لوالدتي، فقد قالت

- ركز فى مذاكرتك شوية .. دى آخر سنة .

سنة رديئة .. السنة التى شهدت رسوبى الوحيد، رغم أننى حاولت أن

أركز، وقد شهدت نفس السنة موت أبله صافية التى كان يحبها الأستاذ

ناجى، ماتت الرقة والعذوبة والجمال بسبب انفجار مفاجئ للمصران

الأعور .. كان العاشقان قد أعدا كل شئ للزواج ولم يتبق على تنسيق

سنوات الحب الطويلة إلا أيام ، لم تنقطع علاقتى بهما حتى بعد تركى

المدرسة الإعدادية وإن لم أصبح رسولا .. ترقيت إلى درجة صديق .

زرتة فوجدته شبه مجنوب .. شعر طويل أشعث، ملابس قذرة ! شفاه

بيضاء .. هزال وذهول .. لا يفتح فمه بكلمة .. عندما رأتى طفرت دموعه رغماً

عنه. عانقتى ثم اختفى بداخله يناجى صافية .

خرجت وأنا ألعن الموت ثم استغفرت الرب، لان الموت من جنوده.. كيف

يسمح له أن يقبض مثل هذه الأرواح وهى ورود الحياة والعيون الصغيرة

ليائها العذبة .. الأنوار الشاحبة التى تضيء للعابرين خطوهم فى الظلمات

المكدسة .: ثمة عشق غريب بين الموت والحياة، أو قل مطاردة .. بين الخير والشر، القبح والجمال .. النور والظلمة، كل منهما يفتش عن الآخر ليقهره، الصراع مستمر والصفحات تتوالى .. والإنسان فى أغلب الاحوال هو الذى تدهسه سنايك المتحاربين وعجلاتهم الأسطورية .

رسبت .. ياه .. كم هو مربع هذا الرسوب! ..

حلقت شعر رأسى تماما ولزمت غرفة السطح .. امتنعت عن الخروج مهما كان السبب ، قاومت رغبتى فى رؤية كريمة، وجدت أنسى فى القراءة ومتابعة حياة الحمام وطباعه وتأملت الأزانب البيضاء، أقبلت على زراعة السطح بالورود والنباتات .. حولته إلى حديقة تستكمل زينتها بالموسيقى الكلاسيكية .. كما تسلل إلى عبدالحليم بنبرة صوته الأسرة، وجمال الكلمات التى يختارها والألحان التى تحمل تلك الكلمات وتطير ثم تحط على قلوبنا .. أهواك .. بتلومونى ليه .. أسمر يا أسمرانى .. يا جمال يا حبيب الملايين .. احنا الشعب .. فى يوم فى شهر فى سنة تهدى الجراح وتنام وعمر جرحى أنا أطول من الأيام ..

أغانى كثيرة رافقت شبابى. ومضت توقع على كل صفحة وكل يوم وكل شعور بتوقيعها بما يلائم أعماقى وشجونى .. تتابعت أفلامه لتكمل المنظومة الفنية والإنسانية التى تعلمنا الحب وتعمق الاحساس وتجدد الأمل .. تساءلت كثيرا .. ماذا كان يمكن أن يكون شكل هذه الأيام بدون عبدالحليم وذلك الحزن الذى يتمشى فى عينيه، وذلك الصوت الفريد المحمل بكل أوجاع المصريين وأشواقهم وأحلامهم .

نسيت أن تذكر شيئا عن دورائك واثنين من زملائك حول الوجه البحرى مشيا على الأقدام .. من بنها إلى شبلنجة ومنيا القمح فالزقازيق ثم القصاصين فالتل الكبير والاسماعيلية، بورسعيد ودمياط إلى دمنهور والاسكندرية ثم دمنهور فطنطا وبركة السبع وشبين الكوم والباжور وتلا وقويسنا .. كانت أيام .

وبعد عودتك مباشرة بلغك نيا انهيار الوحدة المصرية السورية .. وهكذا  
تعانقت المراهقة الخاصة والمراهقة العامة. فقد كنت تعيش مراهقتك . وكانت  
مصر تعيش مراهقتها، يسرى فيكما معا نسغ الشباب والتطلع والحب  
مضمخا بالاندفاع المحموم والأمل المتوهج لاقتناص المستقبل الجميل .  
ولكنك رسيت .. وهي .

كنت تقول دائما

- أقنعة الأيام لاتنتهي .. تطلع عليك بالوجه المشرق الواعد وتمد يدها  
الناعمة إليك فتستسلم للأمانى، ثم تستبدل بالقناع الباسم أحر شرسا  
وغاضبا وذا أنياب مثل دراكيولا .. وعندئذ تختلف ربود الأفعال .



## عبد الناصر

منذ لكزة أخی عام ١٩٥٤ تصاعد اهتمامی بعبد الناصر ، وثما إعجابی به بشكل مطرد .. الأيام تتوالى والأحداث تنفجر ، وهو كالفدائی يقفز فوق حقول الألغام ، یكتسب كل يوم أرضاً جديدة ، یفتح الأفاق ویوقظ شعوباً وحكومات من سبات عمیق .

قرأت مبكراً كتابه «فلسفة الثورة» .. تغلغل فی عقلی الكثير من أفكاره تمنیت أن ألقاه ولو مرة .. هیمنت هذه الأمنية على تفكیری حتی إنها راودتني فی الأحلام فرأيتہ یسلم علی ، ومرة راكباً فرساً أشهب صاعداً فوق جبل غیر منظور حتی یختفی خلف الغمام ، وفي مرة سمعت طرفاً علی الباب ، ولما فتحتہ طالعني فی الظلمة رجل فارغ الطول ، ضخم البنیان .. حدقت فيه ، أدركت أنه الرجل ، لكنه مغبر الوجه ، ممزق الملابس . دعوته للدخول ولحق بی والدی فرحب به . قدم له جلباباً نظيفاً وأصر علی أن یستحم .. رفض الطعام واكتفی بالشای والسجائر .

حكى عن هنود حمر علی رؤوسهم ریش ، اختطفوه من مخبأه السرى فقد وشى به أحد زملائه وسخطوه فی الغابة ، لما أيقنوا بموته تركوه وكان معشياً علیه ، ثم تسلل عانداً .. بحث عن القمر فی السماء وكان متألقاً فی أول المساء ، فلم یعثر له علی أثر .. ظل یمشى علی غیر هدى حتی وجد نفسه أمام بیتنا .

قال

- رغم بیوت كثيرة حولكم ، إلا أن بابكم كان یسع منه ضوء جاذب .  
تمدد الرجل وثام ، بقیت إلى جواره أنامله ، كانت ذراعاه تخرجان من

كمى جلباب أبى .. ساقاه الطويلتان كانت عليهما خطوط غانزة من الجروح ، قلبه يدق بعنف كطبل ، تتأثر به كل أعضاء جسده المحموم ، بعد غفوة خاطفة عند الفجر لم أجده وكان الجلباب مكوما ، وكأنه يتأهب للإجابة على الأسئلة .

ظل حلم لقائه هاجساً ملازماً لروحي ، ولم يعد لى حلم آخر ، أو فلنقل كان فى مقدمة الأمنى ، حتى أن اجتهادى بالدراسة كان وسيلة من الوسائل التى فكرت فيها للقائه .. إذا أحرزت التفوق سوف أسلم عليه فى عيد العلم.

هاهو الأمل يقترب عندما قررت الحكومة فى عام ١٩٥٩ الاحتفال بذكرى الثورة فى يوليو ، بمشاركة شباب المحافظات ، وتم اختيارى ضمن أربعين طالب ثانوياً يمثلون محافظة القليوبية وأمكنتى رؤيته وأنا أمر أمامه . وقف مهيباً يحى الشباب الذين يضع فيهم كل أماله لمقبل الأيام . بدا لى كعمود ضخّم من أعمدة معبد فرعونى فسيح . هل تضى الحياة نون هذه الأعمدة؟!5

رأيته على محطة سكة حديد بنها وأنا أخطب فى الجماهير مرحباً به نيابة عن المدرسة أثناء مروره فى قطار مكشوف .. كدت ألمس يده لولا الحشود التى هجمت على متجهة إليه وألقت بى بعيداً ، وأنا أهتف بحياة زعيم العرب وإن كنت لا أرى غير أقدام العابرين فوقى .

قوى الأمل فى لقائه عندما ملأتى الشعور بانى ساكون أول الجمهورية فى الدبلوم ولكن الأمل تبخر فى سهولة غريبة بنفس السهولة التى تسطلت بها إسرائيل إلى أراضينا عام ١٩٦٧ .

قبل أن يموت بتسع سنوات بالضبط فى ٢٨ سبتمبر عام ١٩٦١ حدث الانفصال ، وانشرخ جدار الوحدة . كان الرجل قد تصور أنه ماض بعزم وفلاح فى تجميع العرب ومحاربة الاستعمار وتقليص قواعده ومساحات

انتشاره على الأرض ، خاصة فى افريقيا ، وأن الأمة تدنو بثقة من تحقيق أحلامها التى تتمثل فى تحرير فلسطين .. جرح العرب الدائم .. ولقد قطع أشواطاً لا بأس بها على طريق التنمية والحق بالعصر .. كان محتشداً بالرغبة المتأججة فى تجاوز عهود التخلف . يتعجل الثمار التى تلوح بشانها عن بعد .

مضيت أتأمل مساعيه وملامحه فى الصحف والتلفزيون وجريدة مصر الناطقة التى تعرضها دور السينما قبل كل فيلم .

لاحظت عبوسه ونظراته الزائغة وشروده حتى تصورت كأن حماسته للعمل قد فترت ، وتراجعت إلى حد كبير فورته .. تلبسنى رعب فأرسلت إليه رسالة ، كتبتها عشر مرات ، إلى أن رضيت عنها وقد جاء فيها :

السيد الرئيس

تحياتى القلبية وتقديرى البالغ لشخصك الغالى

سامحنى وأنا طالب بدبلوم التجارة الثانوية إذ أتجاسر وأكتب إليك ، لأننى واحد من عشرات الملايين تعلقت بك أمالهم ، فالشعب العربى بكافة طوائفه يثق بك ويدرك أنك مؤهل بعديد المزايا لتحقيق أهدافه ، وكان فضل الله عليك وعلينا عظيماً .

لقد لاحظت بعد الانفصال المشنوم أساك واضطراب ملامحك التى تكشف لمحبيك احتقان صدرك بالهم والحزن ، ورجائى ألا تبتئس ولا تستسلم لمطرقة الحدث الصادم ، فنهاية العالم ليست غداً ، وقد خلقت التجارب للاعتبار ، والابتلاءات دروس ، ولا تتوقف الحياة إثر الكبوات ، وما حدث لا يتعين أن يؤثر على طموحاتك للأمة ، لأن الآسى والإحساس العارم بالخسران قد يزلزل الفكر ويغيى الرؤية ، ومن ثم يهدد الزورق الذى يخوض فى بحار عالية وأمواج عاتية .

إن الجماهير التى سلمت لك قلوبها وعقولها تنتظر الخطوة التالية ، فسر

على بركة الله وتطلع إلى الشمس كعادتك ، واقبس منها الدفء والنور ،  
وواصل حريك من أجل المستقبل ، ونحن جميعاً معك وأمامك ، نمت لنا يداً  
إلهية تنتشلنا من وهدة الظلم والتخلف . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ابنكم المحب

قواد محمود قنديل

في ٢٧/١١/١٩٦٦

أرسلت الخطاب

وكعادتي نسيت الموضوع ، عازماً ، أن أكون على رأس الناجحين هذا  
العام ، وفي يوم ٢٢ ديسمبر (عيد النصر) وصلني على منزلنا بشارع كمال  
في بنها من رئاسة الجمهورية ، مكتب الرئيس .. بدا واضحاً أن المظروف تم  
فتحه عدة مرات .. تذكرت رسالتي التي لم أتوقع على الإطلاق أن يرد عليها ،  
وأعلم أنه يتلقى يومياً الآلاف مثلها .

رئاسة الجمهورية في ١٦/١٢/١٩٦٦

ولدنا المحترم الأستاذ /

تحية طيبة وبعد

لقد كان لكلماتك تأثير كبير على ، وكما نبعث من قلبك نفذت إلى قلبي  
وأسهمت مع غيرها في تشجيعي على تجاوز الموقف التعس والاستعداد لما  
هو آت ، فمازالت أوجه القصور كثيرة والتحديات أكثر .

لكن أأست معي (ظللت هذه الجملة بالذات .. أأست معي .. لا تفارقني  
في ليل أو نهار) . في أن السنوات القادمة لن ترحم الدول الصغيرة ، ولن  
يكون هناك وجود حقيقي يحفظ كرامة هذه الدول وشعوبها ، وأن أحداثاً  
جساماً ستهز العالم وتغريك ، فلا يبقى متمتعاً بالحياة . إلا التكتلات  
الكبرى والدول التي تملك مقدرات استقلالها وعوامل حمايتها في مواجهة  
العواصف .

إن الآمال معقودة على شباب العروبة الناهض وأنت منهم ، فكونوا على قلب رجل واحد مسلحين بالعلم والأخلاق من أجل دولة عربية كبرى موحدة وقادرة على أن تفرض كلمتها على أرضها الممتدة من المحيط إلى الخليج .  
وتقبل عميق تقديري وشكري

المخلص

جمال عبدالناصر

بعد أيام زارتنا خالتي التي تقيم بشبرا وعلمنا منها أن شقيق زوجها اعتقل منذ شهر ولا يعرفون عنه شيئا .. طعننى الخبر لأن الأستاذ طلبة مثقف كبير ويسارى راسخ ، ووطنى من طراز رفيع لايعرف أى شىء فى الحياة إلا تاريخ مصر وحضارتها والسياسة الدولية ومعاناة الشعب المصرى والمستقبل .. كنت أدهش لحضور ذهنه الذى لايتوقف عن إنتاج الأفكار .. ماكينه بشرية هدفها تغيير العالم .. كيف يعتقل ؟.. تذكرت أنى علمت من صديق يسكن الزيتون أن والده اعتقل منذ عام أو يزيد وأنه الآن فى الواحات ولايستطيع أحد مهما حاول أن يصل إليه .. تصل رسائل فى علب الكبريت والسجائر ، وفى أوراق صغيرة سافرت من الواحات إلى القاهرة فى مؤخرة جندي طمأنتهم على الأب السجين .

هل كان ذلك بسبب رغبة الاتحاد السوفيتى فى نشر الاتجاه الشيوعى فى المنطقة العربية ، وتصدى عبدالناصر لها ؟.. لقد قرأت شيئا من هذا القبيل .. أكده أحدى ..

عبدالناصر قال فى خطبه أكثر من مرة أنه لن يقبل أبدا أن يتحول العرب إلى دول شيوعية .. تساءلت .. هل اعتقال الشيوعيين رسالة إلى الروس ؟. الواضح أن عبدالناصر كان يعشق بلاده أكثر من اللازم ، وأنه يحرص على أحلامها لها إلى درجة التوتر ، ويبالغ فى حماية هذه الأحلام حتى من الشعب نفسه .. إنه كالأم التي تعبد أبنائها حتى أنها - كما فعلت أمى يوما - تاكل لحمهم إذا لم يكونوا كما تتمنى لهم .. الرجل يعيش فى رعب خوفا على

الكتاكيت .. يخاف عليها من الإقطاعيين والأمريكيين والروس .. ومن زملائه  
ومن نفسه .. يخاف على العرب من العرب ، ومن الديمقراطية التي يمكن أن  
تفتح النوافذ للرياح العاتية .

أدرك بالتدريج أن مايفكر فيه عبدالناصر ليس بالضرورة مايفكر فيه بقية  
الضباط الأحرار .. والأفكار لايمكن زرعها أو شتلها فى رؤوس كبرت  
أعمارها وتجاوزت مرحلة الغرس .. لا أحسب من بينهم من يدرك أهمية  
نواثر عبدالناصر .. دائرة العالم العربى والإسلامى والدائرة الأفريقية  
ودائرة البحر المتوسط .

لا أحسب أحداً إلا النادر يدرك أهدافه التي تتمثل فى وحدة عربية  
شاملة تملك قرارها ومصيرها وتأثيرها .. لا أحسب أحداً يدرك مثله  
الخطر الأمريكى الذى سيجتاح العالم وتعد له المخابرات الأمريكية  
بدأب .

لا أحسب أحداً يدرك أمل الرجل فى اجتثاث جنور الاستعمار من كل  
أنحاء العالم ، ومن يدرك ذلك غير مستعد له ولا راض .. هل هناك من ..  
يدرك وعى عبدالناصر التاريخى العميق بان حماية أى شبر من تراب أى  
دولة عربية لا يكون إلا بحماية كل التراب العربى ، واستقلال دولة لا قيمة له  
مادامت المجاورة لها محتلة ؟

المسألة معقدة جداً ، أهداف هائلة وإمكانات مادية جيدة جداً ، لكن  
الثروة البشرية متواضعة والمقاومة الداخلية والخارجية متعاطمة .. التريص  
والمؤامرات لا تتوقف .. إنه المخاض العظيم يتأهب لميلاد عربى يعيد المجد  
القديم .. ربما يحتاج عقوداً .. لكن البشائر يجب أن تتجلى فى السنوات  
القادمة ..

لم تقل أن هذا كلام أخيك فوزى .. رحمة الله عليه ..  
نعم إنها كلماته وقناعاتى وقناعات أمى وأبى .

## عامل إضاعة

عينت محاسباً باستديو مصر فى أكتوبر ١٩٦٢ ، وكم للشهر المميز من أيار .. فوجئت أثناء سهري بالليل لإعداد الميزانية فى منتصف عام ١٩٦٤ بأحد الخفراء يستدعيني للقاء ضباط من رئاسة الجمهورية .. دهشت وأسرعت متسائلا عن السبب .. قال أكبرهم رتبة :

- نريد ستة عمال إضاعة وأوتاهم لعمل يتطلب ليلة واحدة فى الرئاسة . هذا ليس عملى كمحاسب ، لكن الأستاذ صلاح السيسى المشرف على حركة الإنتاج بالاستديو ، كان قد استأذن للانصراف مبكرا بسبب مرض زوجته ، وطلب منى أن أحل محله فى استقبال أى طلبات عمل أو حجز بلاتوه أو تأجير معدات التصوير والإضاعة ، أو حجز قاعة التسجيل الصوتى «الأوديتوريم» .

قدم لى الضابط خطاباً رسمياً وطلب تجهيز البطاقات الشخصية للعمال وسيمر بعد ثلاثة أيام لاستلامها .. سألته عن طبيعة المهمة فرفض الكشف عنها .. قلت له .

- لا بد من ذلك حتى نحدد نوع العمال والبروجيكتورات .  
قلومنى كثيراً وراوغ ، لكننى كنت حريصا على أن أحطم السرية التى أرى أنها أحيانا زائدة وبلا مبرر .. استطعت فى النهاية إرغامه على التصريح .

- سيقوم شخص مهم جداً حفلا فى منزل تابع للرئاسة يحييه بعض المطربين .

لم أرد أن أضغط أكثر من هذا ، فما حصلت عليه يفى بالغرض ، بل

يكشف أغلب جوانب الخبر . سجلت الطلب وتركته مع كلمة منى لصالح  
السياسى ، أوضح فيها ما اتفقنا عليه حتى يتصرف فور حضوره فى  
الصباح الباكر ، ونسيت الموضوع .

بينما كنت مغموراً فى الدفاتر والحسابات وكشوف البنك وضبط الأرقام  
اقتحمتنى موضوع الحفل الرئاسى ، حكيت عنه لزميلى السمين خفيف الظل  
عفيفى الذى تزوج من الممثلة السمينية جدا «أنجيل» ذات القلب الطيب ..  
قال

- يحتاجون العمال لإضاءة المسرح مادام هناك مطربون .
- أنا أتساءل عن المنزل التابع للرئاسة وشخص مهم جداً .
- لايد إنه الرئيس .

-- هل يقيم الرئيس حفلات فى بيته ؟

- مسألة اجتماعية وليست سياسية .

قال الحناوى وعفيفى فى نفس واحد .

- لماذا لايقم الحفل فى أكبر قاعات البلد ؟

قال أحمد أفكار قبل أن يقفز متشقلباً ليمارس هوايته فى السير على

يديه

- تعرفون الرئيس ، لا يحب المظهيرية .

ظهر المدير فجأة ، ولم يكن يظهر بالليل أبدا .. اندمجنا فى العمل  
واختفى تماما الحديث عن الرئاسة ، ولم يعد إلى رؤوسنا حتى بعد ذهاب  
المدير .

طال بنا السهر إلى ما قبل الفجر ، فقرر العزاب منا المبيت فى حجرات  
الممثلين حتى الصباح . اخترت ممثلة جميلة ومشهورة .

الحجرة ضيقة لكنها مجهزة بكل شىء ، تسريحة كبيرة ، لمبات ركنية ،  
أبوات مكياج وعلطور ، صورها على كل الجدران ، سرير طرى عليه ملاحة

هر بالورود البرتقالية .. شفاه ملتهبة تلتف حول المرأة .. شبشب صغير  
زين بالخرز الأحمر والأصفر فوق كسوة من القرو ، البلاط الصغير بمبي  
لغرفة تفوح بالحنان والحب ، الحمام الصغير جدا بللورة من الضوء الناعم  
. دعنتى الصابونة للاغتسال فلبيت .. أنت يارب خلقت النساء أولا وتركت  
لهن خلق الجمال ، هاهى الممثلة الفاتنة تبتسم لى عبر صورتها الكبيرة  
وتغمرنى أنوثتها الضارية .

قلت لها .

تصبحى على خير يا قمر .

تصورت بعد أن ارتميت على السرير ، وأنا مغمور فيها وممتلىء ،  
بحضورها البهيج أنى سأحلم بها ، لكنى حلمت بعدالناصر .. كنت مع  
والدى نجلس فى صالون بيته فى منشية البكرى ، وأبى يطلب يد ابنته لى ،  
عبدالناصر يبتسم مشجعا ، وهو يقول لأبى :

- يخيل لى أننى رأيتك من قبل .

قال والدى : لم أتشرف ياريس .

قال الرئيس وهو يودعنا .

- ليتنا نلتقى مرة أخرى ، فربما عثرنا على أسباب جديدة لمزيد من

التعارف .

وضع كفه الكبيرة على كتفى وقال فى حنان .

- ربنا يوفقك .

تمنيت أن أظل هكذا أنظر إليه ، ويظل ماضيا فى حديثه ، لكنى  
صحت ، فإذا الشمس فى الغرفة والرجل فى رأسى .

بعد أن اغتسلت وصببت على من كل العطور وتأملت نفسى فى المرآة  
البيضاوية الكبيرة معلقة فى إطارها صور الممثلة ، صاحبة الغرفة عارية:  
الكتفين ووجهها الفاتن تشرق عليه ابتسامة ملهمة .. وقبل أن أقول لها

صباح الفل.. نفذت إلى رأسى فجأة فكرة أن أكون أحد العمال الستة ..  
إنها فرصتى الأكيدة ، وهى حلمى الذى ظل يلاحقنى على مدى عشر سنوات  
.. سرعان ما صفعنى المانع الرئيسى .. البطاقة الشخصية .

كنت أجلس بين زملائى جسدا فقط والعقل فى سفر دائم بحثاً عن الحل  
، لم أتقدم خطوة فى إنجاز المطلوب منى .

كان المدير قد كلبنى به ، إلى أن خطر ببالى اسم زميل كان يعمل  
مساعداً للشيطان فى يوم من الأيام ثم اعتزل بعد زواجه من سيدة جميلة  
جداً وتاب على يديها .

انتظرتة على أحر من الجمر حتى الثالثة ، فلم يحضر ، انطلقت إليه فى  
بيته على ترعة المربوطية قريباً من الأستوديو ، فيللاً صغيرة اشتراها من  
أجل الجميلة ، وإن كانت محاطة بالأحراش والبوص ، يقضى إليها طريق  
ترابى .

اشترى لها كلباً بوليسياً ضخماً اعتزل هو الآخر الخدمة الرسمية ..  
اليوم جمعة ، لكنه كان يجب أن يحضر .. نحن نقيم فى معسكر للميزانية  
كما قال أحمد المصرى المدير العام .. أسعدنى زمانى فوجدته .

كان لابد من الوصول إليه لأنه يعرف تقريباً كل ضباط الشرطة ومعظم  
لصوص القاهرة والجيزة وعدداً كبيراً من المحتالين وتجار المخدرات ، وعدداً  
غير قليل من القوادين والمزورين .

سألته عن الشخص الذى يزور البطاقات .. سألتنى عن السبب ، لحقت  
لسائى فى آخر لحظة .

- صديق يود أن يسافر إلى بلد عربية ولابد من تغيير المهنة .

قال

- يد رجب تتلف فى حرير ، عليه دماغ عجب ، وفنان بدون نظير .. إذا  
قصده فى جواز أمريكى عليه صورة كينيدي أو أيزنهاور كان عندك خلال

٢٤ ساعة .. أم أنك تريده جواز روسي .

- أين أجده ؟

- أخوه وجدى يعمل فى سان سوسى .

- أعرف وجدى .

سان سوسى مقهى جميل وأنيق له حديقة خلف عمر أفندى بميدان الجيزة ويقع أمام بيتى مباشرة . كنت من هواة الجلوس فيه ، بعد تركى مقهى الحاج عبدالله الذى رأيت فيه الحجاوى وأنور العداوى ، والقط وسمير ، وعدم إعجابى بنودة محفوط فى صفية حلمى وبعد رحيل العقاد الذى حرصت على نذوته .

أسرعت إلى هناك . لم أجده .. انتظرت ساعتين ثم علمت أنه تورط فى مشاجرة ثقيلة أكل فيها ضرباً مبرحاً . وهو الآن فى مستشفى أم المصريين ذهب إليه ومعى كيس به بعض العصائر . كان مكسور الذراع الأيمن والساق اليمنى ، ووجهه منقوش ببقع زرقاء ، لكنه فى حالة معنوية جيدة .. قال إنه لم يتوقع أن أزوره . فأسرقت فى الحديث عن أفضاله وخدماته الكثيرة لى فى المقهى .. انطلق يحكى عما فعله فى المعركة ويصف لى كيف حطم عظام خمسة من الرجال ، بينهم ضابط شرطة سابق .. أخيراً حصلت على عنوان أخيه فى وادى حوف .

البيت مغلق . سألت الجيران ، قالوا :

- زوجته تزور أمها فى عزبة النخل ولا بد ستعود .

لم ترجع إلى بيتها ومعها أولادها إلا منتصف الليل ، سألتها عن زوجها .. سافر إلى نجع حمادى صباح اليوم لوفاة زوج أخته .. خطر ببالي وجدى الذى أنقذه الضرب من سفر طويل .. كدت أضحك .. سألتها عن موعد عودته ، قالت ، ليس قبل أربعة أيام . أبلغتها بما جرى لوجدى .

خارج البيت فوق الرصيف وقد استبدى بى الغيظ .. غدا مساء .

سيحضر رجال الرئاسة لاستلام صور البطاقات .. فى الصباح رجوت صلاح السيسى أن يضمنى إلى عمال الإضاءة .. رفض بشدة وقد أصابه الذعر .. قلت له :

دعنى أتفق مع مرتضى أبو علم رئيس عمال الإضاءة .

وافق وهو مطمئن إلى أن مرتضى سيرفض ، أسرع بشراء « هوايت هورس » محترمة ودخلت بها على مرتضى .. لم يكن يستطيع أن يرى أو يسمع أو يتكلم أو يفهم أو يفكر إلا بعد أن يتجرع زجاجة ، وكان يذكرنى دائما بالمثل الأمريكى لى مارفن فى فيلم « كات بيللو » السكير الدائم الذى يجيد التصوير بدرجة مذهلة ، إذا شرب ، ولا يملك القدرة على صلب طوله بون ذلك .

وافق مرتضى بعد عذاب وعاد صلاح يرفض ، عدت أرجوه فأبى .. كان يحبنى جداً ، لكن الإنسان - كما قال - لا يعيش مرتين .. هددنى بإبلاغ طلبى لأحمد المصرى .. عدت أرجوه .. تحت إلحاحى المزعج ترك المكتب مجاملة لى ، وبإدعاء المرض انصرف تماماً من الأستوديو .. ظل قلبى يدق بشكل غير عادى إلى أن حضر وفد الرئاسة فبعثت لهم بغيرى .. سلمهم صور البطاقات ومضوا بها واعدين بالاتصال لتحديد موعد حضور السيارة التى ستنقل العمال والمعدات . كنت قد سهرت ليلة كاملة أعبت بصورتى فى البطاقة ، حتى أنكرت أنى يمكن أن أكون من عتاة المزورين .

ذهبنا فى اليوم الموعد ، كان حفلاً بمناسبة زواج هدى عبدالناصر بعريسها حاتم صادق .. سلمنى مرتضى أصغر بروجيكتور قوته ٢٠ك .. أضائنا المسرح الذى أعده وصمم بيكوراته المخرج الفنان شادى عبدالسلام وغنت عليه أم كلثوم وعبدالوهاب وعبدالحليم ، لم أكن أسمع شيئاً ولا أرى إلا هو حتى وأنا ظهري تجاهه .. كل شىء كان ضبابيا كئيباً فى حلم ، حتى أصوات المطربين الذين أحبهم كانت تأتى من بعيد جدا ، كان الرئيس

يجلس بين ضيوفه فى حديقة منزله التى أقيم فيها المسرح .. أمكننى معرفة معظم الضيوف .. كانوا من أعضاء مجلس قيادة الثورة ومعهم آخرون . علمت أن شادى سلم زجاجة «بلاك أند هوايت» لمرتضى فحمدت الله .

ثار ضدى مرتضى عدة مرات . وحمراً لى عينيه حتى اضطر للجلوس ورائى مباشرة ، ليمنعنى من الدوران بالبروجيكتور نحو الرئيس وتبتعد الإضاءة عن المسرح .. يلطم مرتضى وجهه ويقول وهو يأكل أسنانه .

- أنا عارف نفسى كويس .. أصلى ابن كلب .. غلظت غلظة عمرى كله وسوف أدفع الثمن .. أستر يارب .. أرجوك يارب أترك كل اللى فى إيدك وخليك معايا .

لم أكن أود أن تضيق حديقة واحدة لا أتأمل خلالها الرجل الذى اختاره الله لتحريك راكد الأمة العربية .. الرجل الذى أرسل لى خطاباً رقيقاً ورائعاً يقول لى فيه : «ألست معى» وهو يعلم أنى طالب .

- ألست معى ؟

- معك ياسيدى ، والله معك وأحسُّ بك .

بعد انتهاء الحفل أخذونا إلى جانب متوار من الحديقة ووضعوا أمامنا طعاماً هجم عليه العمال ، لم أكن متحمساً للطعام ولم أكن راضياً عن منظرنا .

بعد دقائق جاء من ينادينا قائلاً :

الرئيس يسأل عنكم ويريدكم معه على المائدة ، ارتعد جسدى وتصاعدت مشاعرى إلى عيونى وسرعان ما ترقرق الدمع الذى كنت أحبسه .

ظلت عيونى عليه .. الكل كان يأكل إلانا .. أنا وهو .. كان كل شىء ضبابياً وأنا فى نصف وعى .. أهدق فى الرجل الذى منذ عشرين عاماً على الأقل جمع الضباط وشارك فى حرب فلسطين واستنفر الصحافة ودعمها بالأسرار ثم ثار مع الثوار .. الرجل الذى جاء من أجل الغلبة فى العالم

أجمع .. بقيت مجنوبا ومدلها ولم أنتبه لحالي إلا بعد أن حملتنا سيارات الرئاسة إلى بيوتنا ، تذكرت أخيرا أن كل شيء تقريبا مر بسلام ، اندفعت وراء أمنيتي وكان يمكن أن أتسبب في إيذاء عدد كبير من الناس .. هل هي سذاجة أم حماقة . ثقة زائدة ، اعتماد مبالغ فيه على عناية الله ، أم حسن نية أم قدر ؟ أيقنت إنها في حدها الأدنى حماقة لها سوابق في حياتي ولن أعدم مثلها في المستقبل ، لسبب بسيط هو أنني غير مستعد لمقاومتها لأن هدفي كان عملاقاً وتاريخياً لا تمنعني عن بلوغه أعنى العقبات .

بعد شهر دعاني المدير العام وسألني عن حقيقة انضمامي لعمال الإضاعة في حقل الرئيس ، أنكرت بشدة في شبه صراخ :

من المجنون الذي قال ذلك ؟ .. كان قد سبقني السيسى إلى نفس الرد ، الخبر وصل إليه من أحد العمال المقربين لمرتضى الذي يشرب سبرتو بدلا من الأصناف العالية .

دهشت لأن المدير العام أمر بوقف حوافزي المالية ثلاثة أشهر فغضبت ، وحاولت تجنبه ، وإذا دعاني لا أذهب إليه متعللا بأي سبب إلى أن ضقت بالقلس .. فكتبت له قصيدة أطلب فيها بكل إباء إعادة حوافزي مؤكدا أنني لم أعهد فيه الظلم ، فكتب على القصيدة :

من سوء حظك . أنا أكره الشعر ، ولو كتبتها بالنتر لوافقته فوراً ، فلم أكتب شيئا وبقيت فتره معرضاً عنه .

## هنس

هل كان الكتاب الذي لا تفارقه عيناها هو الذي لفت نظري إليها ؟  
هل كان السميت الهادئ الويع ؟ .. هل كانت الملامح الجميلة الدقيقة ؟  
أم تراها كانت العيون السوداء ونظراتها الخاطفة الناطقة بقوة  
شخصيتها واعتدادها بنفسها ؟

أم لعله انصرفها عن كل من في أتوبيس الشركة. حريصة على ألا تتابع  
ما يجري من حوارات وقكاهات وغناء وصخب وكأنها محرومة من نعمة  
السمع، مكتفية في النادر بإرسال نظراتها إلى خارج النافذة لتأمل بعض  
المشاهد العابرة، مؤثرة الجلوس في المقعد الأيمن في الصف الثاني بشكل  
دائم حتى لقد عرف بها وعرفت به .. كل ذلك اجتذبتني إليها فرحت أرقبها  
وأحاول اختلاس النظر لمعرفة أسماء الكتب التي تطلعها ومن ثم أدرك  
نوعية اهتمامها وصولا إلى مدى ثقافتها .

لقد شكلت لنفسها - ربما دون قصد - عالما غامضا ولافتا .. عالما غريبا  
بالقياس إلى ما حولها وإلى المعتاد والسائد، يغري بالاقتراب منه ومحاولة  
كشف أسرارها واجتياز أسواره .. لكن الأمر جاء مختلفا .

كان شاغلي في البداية الإجابة على السؤال البوابة .. هل اهتم غيري  
بها وماذا كانت النتيجة ؟ .. ربما لم يتلق منها ما يشجع وربما سمع ما لا  
يرضيه، فعاد أترجاه دون تكرار التجربة .. لا تبدو شرسة لكنها بالتأكيد  
تقيم جدارا سميكا وعازلا يحول دون اقتحام محاربتها الرقيقة .

حاولت أن أحفر معالم وجهها في ذاكرتي .. الرموش السوداء الطويلة ..  
الشعر الكثيف الأسود المتدلى خلف ظهرها كزهر يهبط بعنفوان من فوق

ربوة نضرة ومشركة .. الغم الجميل الأحمر والذقن الصغيرة .. تلك الهالة من النور التي لا أعرف مصدرها .. بقعة من الجمال معزولة تماما عن الآخرين كأنها ليست بينهم، وكأنهم اعتادوا نسيانها أو تجنبها .

مع أول أيام تعيينها بالشركة صعدت إلى الأتوبيس واجتازت المقعد الذي يجعلها في مهب الريح .. أى ريح، أخرجت الكتاب ودخلت في شرنقته ولم تخرج إلا للنزول .. أعجبتني كتبها .. أشعار نزار قباني، أشعار طاغور . سونيات شكسبير .. قصص إدريس وتشيكوف، أساطير الحب والجمال عند الأغريق، أشعار حافظ الشيرازي وناظم حكمت .. مسرحيات لوركا وبورينمات، التقطت عنوان كتاب «كفاحي» لهتلر وكتابا عن قصة الميكروب وأصل الأنواع .. دهشت وحاولت إعادة تقييم اهتماماتها وتحديد المجال الأثير لديها .. سلمت تماما بأنها قارئة نهمة ، الكتاب لا تحمله معها أكثر من يومين إلا في حالات نادرة .

تحينت الفرصة للجلوس إلى جانبها .. اشتقت إلى من أحاوره حول الأدب والفكر .. شغلنى عملى فى حسابات استديو مصر .. وكان متراكما منذ سنوات .. الدولة تتأهب لتحويله إلى قطاع عام بعد تصفيته، بحصر أصوله ومديونياته.

هجمت بون مقدمات.

- ما رأيك فى شعر نزار ؟

اضطربت يدها التي تحمل الكتاب وكاد يسقط، أسرعته نظراتها إلى الشارع ثم قالت بصوت شبه ضائع : الجيدون قلة.

قلت على الفور : هذه ليست إجابة .

عادت تنتظر إلى الشارع .. لا بد أنها غير مستعدة للتواصل مع أحد .. هناك جدار عازل أقامته فيما يبدو بينها وبين الناس، مع أنهم زملاء .. فى مرة رأيت شخصا يجلس فى مقعدها، ظلت واقفة أمامه. تنتظر إليه فى هدوء

تديد إلى أن أدرك أنه مقعدها، فنهض مبتعدا .

تابعت أسئلتي

- هل ترين أنه شاعر حب أو سياسة ؟

لم ترد .. قررت ألا أتركها .. قلت :

- أحيانا أحس أنه يتكلف وأن شعره لا يصدر عن حب حقيقي .. إنه

صانع محترف .

قالت :

- هذا صحيح إلى حد كبير . ولكنه يستولى على القلوب .

قلت : لأنه بسيط ومختلف .

سألته عن رأيها في توفيق الحكيم، قالت إنها لم تقرأه جيدا بسبب ميله

إلى المسرح، قلت إن مسرحه يصلح للقراءة، ولديه كتب أخرى كثيرة ممتعة

فكريا وفنيا، مثل عودة الروح وبراسكا أو مشكلة الحكم والرباط المقدس

وعصفور من الشرق .

قالت :

- مظهره يعمل ضده .

سعدت لكسر محاربتها الحديدية ، قلت :

- قشرة خارجية لا تأثير لها .

كانها لامت نفسها على التواصل، فعادت إلى الشارع .. سألته :

- والعقاد ؟

- لا أحتمله .. يتصور أن التعقيد عبقري . ويبدو أن اسمه من كتابته .

- ليس تعقيدا، ولكنه محاولة لمعرفة الأعماق، ولذلك فالتعبير لديه مرك

أحيانا .

- ما يطرحه لا يجذبني .

- سأقول له ذلك .

ابتسمت ابتسامة مشوبة بالرعب.

- أحقا ؟

- أذهب إلى ثبوتة صباح كل جمعة .. ساخبره برأيك .

- لن يهमे .

- بل سيهमे وسوف يسألني عنك، عندئذ سأقول له كل شيء .

أخيرا رفعت وجهها إلى ونظرت في عيني .. وسألتني وهي تكاد ترتعد .

- كل شيء ؟

- نعم .

- كل شيء عن ماذا ؟

- عنك .

اكتشفت أنني أصدق فيها، فأغضت، بينما حاولت أصابعها الرقيقة

المحفوظة على الكتاب المغلق أن تسيطر على اضطرابها .

- عني ؟

- نعم .

- وماذا تعرف ؟

- ياه .. الكثير .. سأقول له أنك ..

قاطعتني وهي تنهض .

- تسمح .. لا بد أن أنزل هنا .

أسرعت تهبط من الاتوبيس، وأنا على ثقة أننا لم تصل بعد إلى ميدان

لاطوغلى الذي تعودت أن تنزل فيه .. لم أنزعج كثيرا لانصرافها، بل كنت

سعيدا بالتجربة .. بالاقترام .. باستدراجها خارج محارتها، وحاولت أن

أستعيد ملامحها المنعمة ووجهها الأبيض وشعرها الأسود الفاحم الطويل

وأنا أتابعها وقد خشيت للحظات أن أكون قد أغضبتها بجسارتي . كانت

تعمل مساعدة لدام هدى في قسم المونتاج .

- فوجئت بى فى اليوم التالى فى حجرة المونتاج . كانت تجلس فيها وحيدة .
- قالت بحدة : أفندم .
- أعددت نفسى جيدا من الناحية المظهرية لهذا اللقاء .
- جئت لأعتذر عن .
- لا سبب للاعتذار .
- إنن .
- أرجوك .. هذا مكان عمل .
- لكنى كنت سخيفا .
- وجودك هنا .
- غير مرحب به .
- مكان عمل وأنا لا أحب .
- أن يلوك أحد سيرتك .
- تمام .
- فهل يمكن أن أتحدث إليك لدقائق ؟
- فرصة أخرى .

تقدمتني نحو الباب .. خرجت وأنا لا أستطيع اخفاء حرجى واضطرابى .. فى الوقت نفسه عزمت على ألا أستسلم فهذه الفتاة قوية بشكل مثير .

شرعت فى وضع خطط للاقتحام والسيطرة لكنى كلما وضعت خطة عدت فمحوتها وفضلت ألا تكون هناك أى خطة، ثم أضع جديدة إن لا أجد مغرا من الخطط. وسرعان ما أتخلص منها، وهكذا حتى انتهيت إلى قرار أخير وحاسم .. لا داعى لأية خطة ولأعضى على طريق النقرات الصغيرة والحوار القصير، وعدم محاولة الضغط عليها لإقامة علاقة أو تسريع إقامة أى رابطة .. لنضع كل شئ للظروف والزمن ولتأتى الأمور بطبيعتها دون لى عنقها .. وكانت فى الحقيقة خطة ذات نفس طويل تتناسب مع قوة التحصينات .

فى اليوم التالى أهديتها كئابا للحكيم .. فى مرة أخرى أحضرت لها «العجوز والبحر» لهمينجواى وتناقشنا حولها، أعجبتنى جدا قدرتها على الغوص فى دلالات النص وإدراك مستوياته، خاصة النصوص الخصبة والمهمة .. كانت تجيد قراءة ما وراء السطور، قالت لى مرة : أتعنى أن أقرأ «المترد» لالبير كامى .. بحثت عنه كثيرا فلم أوفق .. غبت يومين عن العمل وفى الثالث حملته إليها .. سألتنى إذا كنت أرغب فى كوب من الشاي، وافقت طبعاً ودهشت لأنها لم تنزعج مثل ما فعلت فى المرة السابقة .. قلت لها : إننى لا أود تعطيلها.

- أنهيت عملى بالأمس وانتظر مدام هدى لتبدأ فى الفيلم الجديد .

كانت أكثر أعمالها للأفلام التسجيلية وقليل من الروائية .

قلت : لا أود أن يسى أحد فهم وجودى هنا.

قالت : لا أسمع لأحد أن يسى الفهم ..

تحدثنا طويلاً وأمكننى أن استبرجها للضحك، فضحكت وقاضت وتدفت .. حضرت هدى وهى سيدة يوغسلافية تجيد العربية وقد أسلمت وتزوجت من مصرى .. تخلى عنها ومات، لم ترد ترك مصر .. كانت دائماً تقول : مصر وطنها الأول .. قدمتنى لها هند، وفوجئت بترحيب هدى التى لم أكن قد رأيتها غير مرتين دون حوار .

قالت هدى : حدثنى هند عنك كثيراً ..

اندفعت هند : يا مدام هدى لا تجالبيه على حسابى .. أنا لم أهدك عنه لا كثيراً ولا قليلاً .. قلت فقط إن زميلاً فى الحسابات له اهتمامات ثقافية .. فقط .. قالت هدى : فنلاً .. فنلاً .

اشتقت للحب .. تلهفت على الأنتى بعد أن غرق الرسوب بينى وبين كريمة، وغضب أمى الذى كان صامتاً لكنه يحرق، شغلتنى الدراسة ثم العمل والسياسة والأدب . لكن القلب عودنى أن يشكو بسرعة من الحرمان .

ما قيمة الحياة نون حب .. أى حب ، شرط أن يكون كبيرا وعميقا .  
تابعت تمصير البنوك والشركات الأجنبية والنزاعات العربية خاصة بين  
مصر والعراق إبان حكم عبدالكريم قاسم .. ثم القوانين الإشتراكية يوليو  
١٩٦١ والانفصال والميثاق الوطنى ١٩٦٢ ثم ثورة اليمن ومساندة مصر لها  
.. كان يتولى شئونها السياسية أنور السادات وشئونها العسكرية أنور  
القاضى بعد رفض عبدالناصر أن يتولاهما عبدالحكيم عامر .. كان غاضبا  
من تجاوزات صديقه الأعز حكيم فى سوريا .

تعقدت فى الحياة أمور كثيرة واختلطت الأغصان .. وطالت الأشواق  
أعناق الورود.. نبت الصبار فى حلوq الياسمين، وإلى جانب ذلك نضج  
الفتى وابتلته الأقدار ببعض المواقف التى سوته قليلا على سطح ساخن،  
لكنه كان - ربما نون قصد - حريصا على روح الطفولة البريئة .. رغم ذلك  
فقد حاول فصم العلاقة بينه وبين الشعر، لم تكن الأيام قادرة على الإلهام،  
والأحداث كانت عابسة والوجوه لا تعرف القمر .. مالت قراءتى قليلا إلى  
الفلسفة لعلها تفسر لى بعض ما يجرى .. اكتشفت نيتشه الرائع، ومضيت  
معه، ثم جربت كتابة أول قصة عن حرب اليمن بعنوان « الفوج القادم» بسبب  
تأثرى بمشهد أم كانت تنتظر على محطة القطارات ابنها الجندى الذى لم  
يعد من اليمن .. لكننى عدت للشعر من أجل هند .. كان ذلك أمرا  
استثنائيا، فما كان بالإمكان تقديم أشواقى وحنينى إليها على أوراق  
القصة، وإنما على أجنحة الشعر الشفافة والمشبوبة .

أحببت هذا وتفرغت تقريبا لها بعقلى وقلبى وروحى ووقتى .. بدلت فى  
كل عاداتى لأجلها .. اهتممت بملابسى لترضى .. واصلت القراءة ليكون  
بيننا دائما موضوع للمناقشة والتحليل والتأمل .. كلما تحاورنا زاد تقديرى  
لها .. ما أروع عقل المرأة إذا احتشد بالثقافة ثم تالق بالإحساس وسما  
بالطموح والأمل وحب الحياة !

كم هو ملهم وجه فاتن لغناة تحبك!، أدرت مبكرا أن قلب المرأة كنز لا تدانيه كنوز الأرض، وعقلها حصان جامح يمكن أن يعبر الأكوان في جسارة، وأن يحول التراب زهبا والصحراء حدائق .

ألححت في طلب التقدم لأسرتها .. تهربت وماطلت إلى أن قالت :  
سيرفضك أهلى .. صدعتنى كتبها قالت لى : أكرهك ..

عرفت منها أن الأسرة متوسطة، والأب موظف بسيط فى الإذاعة، فسألت عن عيوى التى سترفضنى الأسرة بسببها .

قالت : لأنك لا تحمل من الشهادات إلا البليوم .

سألتها : هل ترين أنى ..؟

قأطعتنى :

- ليس قبل أن تحصل على الليسانس أو البكالوريوس .

- أتقدم ثم ..

- أبدا .

- بعنى أتفاهم معهم .

- أنا أيضا غير موافقة ؟

- هل أنت مجنونة ؟

- نعم .

- لكن .

- هناك فرق هائل بين البليوم والبكالوريوس .

- فى الثقافة ؟

- بل فى الوظيفة وفرص الترقى

- لا يعنينى هذا الهراء .

- أنا يعنينى .

استولى على غضب مفاجئ وثقيل .. طلبت منها أن تغادر المكان .. على

بابه تركتها، وسرت على قدمي أغذ السير غير متجه إلى أي مكان .. تعودت  
أن أدفن غضبي في السير وأحياناً العدو لتخليص روعي من توتر أعصابي  
.. كانت بؤرة غضبي إصرارها وطريقة طرحها للموضوع، كفته مسألة حياة  
أو موت ، سرت من كازينو قصر النيل المجاور للكوبري حتى ميدان الجيزة  
حيث أسكن.

من السهل بالدبلوم أن أدخل كلية التجارة، لكني لا أريدها، أريد الآداب  
لأدرس اللغة العربية، ولأدخل الآداب لأبدي من الثانوية العامة .. ولأبدي لمن  
يريد الحصول عليها من البدء بالسنة الأولى وينجح فيها ثم ينتقل إلى الثانية  
وهكذا .. يستحيل . معاناة كبيرة وسقيمة أن أحصل على الليسانس بعد  
سبع سنوات إذا نجحت كل سنة .. لا مفر إن من نظام المنازل الذي  
استخدمه أخي فوزي للقفز فوق سنوات التعليم .

القريب أنني فوجئت بزميل الطفولة فتحى سرور (ليس رئيس مجلس  
الشعب) يزورني في اليوم التالي ويقول :

- أطلب منك بإلحاح شيئاً لا ترفضه، وأنا اعتمد على الله .

- عيني يا فتحى،

- أنت تعلم أنني أذاكر الثانوية منذ تسع سنوات وأرسلت

وحلمت منذ أيام أنني أخيراً نجحت.

ضحكت :

- فى الحلم فقط يا فتحى.

- كنت أنت معي ونجحنا معاً.. إنني لأبدي أن تدرسها معي .

قلت :

- أنا لا أريد أن أدرسها يا فتحى .

- أنت تحب القراءة .. اقرأ كتب الثانوية معي،

كتمت الضحك.

- ابحث عن غيرى .. لا وقت لى .  
هب فجة وهجم على وامسك برأسى يقبلها فهدأته حتى جلس .. أخيرا  
ضحكت، وقلت :

- خلاص يا عم .. سناذاكر معك .  
هب من جديد وهجم على رأسى يقبله ،  
قلت :

- هل تعلم لماذا ترسب ؟  
- أنا مندهش .. تسمع سنوات .  
- لأنك لا تركز فى القراءة، أنت تركز فى السمك .

كان فتحى سرور يحمل كتبه وسنارته ويذهب إلى النهر، يقضى على  
ضفته بين الأحراش الساعات متابعيا سنارته والخيط وكتبه إلى جانبه ..  
يفتحها بدقة ويتأمل حركات ودهاء السمك.

أخذت أجازة من العمل عشرين يوما بصعوبة قبل الامتحان .. ذاكرت  
مواد السنة الأولى فقط، الطبيعة والرياضة ، الكيمياء والأحياء لأنى لم  
أدرسها فى التجارة ودخلت الامتحان .. أحضر الامتحان فى الصباح مع  
السنة الثالثة، ثم يخرج طلابها إلى بيوتهم ونحضر نحن امتحان السنة  
الأولى ثم السنة الثانية .

وفى لجان التصحيح يصححون لنا إجاباتنا فى امتحان السنة الأولى ..  
إذا نجحنا ، صححوا إجابات السنة الثانية، وإذا نجحنا صححوا إجابات  
السنة الثالثة، وقد نجحت ورسب فتحى سرور للمرة العاشرة .

عزمت على دخول قسم اللغة العربية حتى أتقن أدوات الأدب الذى أحبا  
وقد تمكن منى تماما، وعندما ذهبت للملء استمارة الرغبات وجدتنى أختار  
قسم الفلسفة لأنى بسبب نيّشة أدركت أنى بحاجة إلى التعمق فيها فهمى  
زاد الأدب الحقيقى، كشفت لى قراءتى الآثار العميقة للفلسفة فى خلق أدب

خالد، وهونت على نفسى أمر اللغة، بأن دراستها مهمة يسيرة توفرها  
القراءة ومعاونة أساتذتها بشكل حر وغير أكاديمى .

دخلت الجامعة لآلتقى بكوكبة فريدة من الأساتذة د. عثمان أمين ، د.  
زكى نجيب محمود ، د. زكريا إبراهيم ، د. فتحى الشنيطى ، د. مصطفى  
سويف وغيرهم، والتقيت بالعباقرة من ديكارت إلى أرسطو ، من كانت إلى  
هيجل إلى ابن رشد والغزالي، ومن أفلاطون وسقراط إلي القديس أو  
غسطين إلى كير كجارد وهایدجر وياسبرز وسارتر، لكن نيتشه كان دائما  
يتقدم الجميع بهذه العقلية المتفجرة بالكبرياء والحرية والقوة، ورفض كل ما  
هو ضعيف وخائر وخامل .. إنه الحيوية والفكر والموسيقى والطبيعة  
والمواجهة الجسور، إنه الفيلسوف الذى لم ينتج فلسفة بقدر ما أنتج فلاسفة،  
فقد ألهمت أفكاره الكثير من الفلاسفة كى يقيموا صروحهم، ويهدموا - كما  
كان يدعو - كل بناء هش أو رؤية عاجزة، لكى يؤسسوا بالفكر الدقيق أبنية  
فلسفية متماسكة تمتلك القدرة على فهم العالم وتفسير ظواهره الكونية  
والوجودية والمعرفية ..

نيتشه الذى علمنى أن الألم هو طريق الصعود، والألم هو السبيل إلى  
القوة والتحدى، وهو الذى قال إن الوحدة الموحشة أفضل من الالتحام  
بالغوغاء الذين يبدون الوقت، لقد أعاد تشكيل شخصيتى حين قال : «من  
يود أن يكون ذا قيمة فليجنب الفارغين والتافهين، وعليه أن يرتفع دائما إلى  
أخلاق السادة والنبلاء لا أخلاق العبيد والمستضعفين الأذلاء .. الكرامة ..  
الكرامة هى الحياة .

الأثق أن تقول إنك وجدت لديه ما كنت تبحث عنه وما كان قابعا فى  
أغوارك اللاواعية، وكثيرا ما صدر عنك حتى منذ الطفولة والإنسان عادة لا  
يرضى إلا بما يتسق مع روحه.



كان القدر يدفع عربته كبائع الفول المتجول، قدره يغلى بينما هو ماض  
يخترق الطرقات بحماس زائد، يتعجل عقد صفقة ربما تنقله من حال إلى  
حال .. يركض بهمة وينفث أبخرة متشنجة سرعان ما تنفذ إلى أرواح  
معذبة.

كنت كعادتي طوال مايو مستنفرا بالتصريحات الملتهبة التي تطلقها  
عقيرة بعض من يهرولون نون وعى خلف البائع المتجول الذي كان قد سوى  
ما يطعم به فريق من الانتهازيين والسوقة، أنا مستثار ومسكون برغبة  
مصيرية في قلب قلبي لأرى نصرا حاسما للعرب على الملعونة التي احتلت  
فلسطين.

تعاونت وسائل الإعلام على خلق حالة من التأهب ليلتقى الناس أخبارا  
إيجابية للغاية، فما أن تنطلق الجيوش العربية حتى تكتسح الكيان  
الصهيوني الهش، وكنت أشعر أنها لا تغالي، فقد كانت المناورات التي  
ينظمها كل عدة أشهر قائد قواتنا المظفر حكيم وصواريخ القاهر والظافر  
التي سارت بشموخ أمام الرئيس تسبقها في أذنه كلمات نارية تشير إلى  
السحق والمحق ، وتؤكد بلوغنا المحطة النهائية للصراع مع إسرائيل الذي  
عطل الكثير من خططنا وأعاق تحقيق الكثير من أهدافنا، بل وكان سببا في  
تحريض الغرب ضدنا من أجل عيون الغالية عندهم بما يفوق بكثير غلاوة  
المسيح الرسول العظيم اللهم ولد سيدة نساء الأرض.

طمأننى جدا حديث جمال مع ضباط القوات الجوية يوم الجمعة الثاني  
من يونيو حيث قال لهم إن إسرائيل مضطرة للهجوم على مصر خلال ثلاثة  
أيام على الأكثر، ولن يتجاوز صبرها يوم الاثنين ٥ يونيو .. أولاً ، لأن هناك

أخبارا تؤكد ذلك من مصادر موثوق بها، وثانياً لأن هناك دراسة اقتصادية تمت حول مدى احتمال إسرائيل إغلاق مضيق تيران على البحر الأحمر، أوضحت أنها تعتمد عليه اعتماداً أساسياً وأنها ستحتاجه جداً في غضون أيام، وستحدث كارثة داخلية إذا استمر إغلاقه، ولذلك لا أطلب منكم غير شئ واحد، نكسب بعده الحرب ..

ربوا جميعاً في صوت واحد :

- أمرك يا ريس-

- أن تظلوا في السماء في شكل مظلة جوية، فإذا تلقينا الضربة الأولى نون خسائر في طائراتنا، أبشروا لأنكم أنتم الذين ستحققون النصر .

- اطمئن يا ريس، لن نهبط إلى الأرض إلا مع احتفالات النصر.

- مرة ثانية وثالثة ،ؤكد لكم .. لن يتحقق النصر إلا إن كنتم دائماً في

السماء.

كلام واضح ومحدد .. تنفيذه يعنى نتائج مرضية .

انصرف الرئيس وقد اطمئن إلى حد كبير على إغلاق الباب الذى يمكن أن يمر به العدو إلى قلب الحبيبة .. كان حكيم مع الرئيس يشرح له نتائج أفكاره التى طرحها بشأن إغلاق مضيق تيران وجلاء قوات الطوارئ الدولية.

- سننتهى يا جمال من الورم الخبيث نهائياً.

- أتمنى يا حكيم.

كنت صباح ٥ يونيو فوق السطوح أستعد لامتحان الكلية الذى يحين فى الساعة الرابعة عصراً .. أراجع أهم آراء فلاسفة الأخلاق على مدى التاريخ .. الساعة الثامنة صباحاً، وأنا لم أتم .. تعذر كالعادة الحصول على أجازة إلا فى الأيام الأخيرة .. أشعر بالخواء، كان على أن أقطع شوطاً قبل أن تغلو الشمس وتلهبنى حرارتها .. لا يزال الصباح ندياً .. طلعت أختى تتأينى كى أتناول فطورى، قلت لها : سأنزل حالا .

قبل أن أستدير نحو السلم عبرت فوق رأسى مباشرة وبسرعة خاطفة طائرات زيتونية اللون، قلت ربما كانت تلك دفعة جديدة من الطائرات تشارك سابقاتها فى المظلة الجوية .. لكنى تساللت عن سرعتها ولونها .. ليس هذا لون الطائرات المصرية ، ولا هذه سرعتها العادية التى تطوف بها السماء فى نوبة حراسة واستطلاع، ولماذا هى منخفضة جدا على هذا النحو ؟

عادت الطائرات الزيتونية تخترق الفضاء بوقاحة .. خفق قلبى ثم زاد الخفقان، وبقيت فترة إلى أن صعدت أختى من جديد تدعونى للفتور، أسرعت معها لأفتح الراديو لعل فيه ما يكشف المجهول .. كانت درجات السلم الحجرى تتبدل تحت أقدامى وتربكنى لكنى أندفع هابطا .. لست أرى السر فى أنى لم أتقبل موضوع توالى سقوط الطائرات المعادية، ليس تهوينا من قدرة قواتنا، ولكن لأنى كنت أعتمد على تحذير عبدالناصر للطيارين لتجنب الضربة الأولى، أنى إننا سنكون فى حالة دفاع كما كان يفعل محمد على الملاكم الشهير .. الدفاع أولا حتى يفقد الخصم الكثير من جهده، ثم القيام عليه بواجب الهجوم الشامل، ولم أكن مرتاحا لمشهد القوات المصرية الزاحفة إلى سيناء، وقد كان معظمها قادما من اليمن منهوك القوى، وأكد هواجسى التى كنت أقاومها لحساب التفاؤل أن الليلة التالية شهدت حديثا صادما عبر الإذاعة عن إنسحابنا إلى خط الدفاع الأول ثم الثانى ..

بدأت أسأل أختى ونفسى وأنا فى حالة انعدام وزن : أين الظاهر والقاهر أين القوات الخاصة والصاعقة أين ؟ .. أين الطائرات بعد أن شبعنا من الضربة الأولى والثانية ؟! ..

شئ غريب ومشبوه .. هناك مؤامرة وتواطؤ .. هناك لابد أسرار، ودلائل انكسار وانهييار مفاجئ وصادم ومقزع .. إلى أن رأيت بعينى صباح يوم الخميس الثامن من يونيو مجموعة كبيرة من الجنود عاندين من الإسماعيلية فى قطار يمر بينها إلى القاهرة .. ركبت معهم القطار .. كانت المرة الأولى

التي أرى فيها عيوننا تتفجر منها تلك النظرات الغاضبة .. عيوننا تنفث لها .. الوجوه مغمورة فى غبار أسود والشفاه رمادية والملابس ممزقة والملابس الداخلية المشوهة بالسخام تنفتح عنها السترات الكاكية .. الخوذات إلى جوارهم والبنادق ملقاة بإهمال، كان أفدح ما تلقيت، الصمت المقهور والمشتعل .. حاولت أن أسأل أحد الجنود عن الحرب، من أين جاؤوا ولماذا؟ لماذا؟ لم يجبني بحرف، وعاد ينظر إلى الطريق الذى يسرع بالركض فى عكس اتجاهنا .. الأشجار تهرب، والزجاج ملطخ ببصمات الأيدي القذرة .

قلت لهم فى عطف :

- حمدا لله على السلامة .

تنهدوا من أعماقهم، وأكلوا أسنانهم ثم أرسلوا إلى نظرة عطف أيضا لابد إنها من نوع آخر .. عادوا بسرعة إلى المعالم التى تجرى فى الطرقات هرباً من شئ ما .

علمت بعد ذلك أن المشير عامر جمع عددا من القادة فى طائرة عسكرية لزيارة الجبهة، ومن ثم صدرت الأوامر لقوات الدفاع الجوى والصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات بعدم إطلاق أى دابة فى اتجاه أى هدف، لأن هناك قائد عظيم فى الجو، وعندما هجمت الطائرات الإسرائيلية كانت كل وسائل الدفاع منكسة حفاظا على قادة الجيوش المحلقين فى السماء مع حكيم .. إنهم القادة العسكريون الذين - فيما أظن - لم يقرأوا شيئا عن الحروب الحديثة والفكر العسكرى .. إنهم يعينون الموقف نفسه الذى واجه به المماليك جيوش الأتراك سنة ١٥١٧ . كانت الأسلحة هى الغطرسة والجهل، وأجارك الله عندما يجتمع الاثنان .

علمت أن أحد أهم القواعد الجوية وهى أنشاص كانت حتى صباح الاثنين تشهد حفلا لضباط الطيران، كانوا فيما يبدو يحتفلون بالنصر المؤزر قبل أن يتحقق حتى يكون لهم السبق .. لم يستيقظ السادة الطيارون إلا بعد

أن نخطمت جميع الطائرات فى القاعدة وألقيت قنابل موقوتة على الممرات، تمنع صعود الطيارين إلى بعض الطائرات التى كانت فى الهناجر ونجت من الذبحة .

فيما بعد علمت أن مورديخاى جور قائد الطيران الإسرائيلى طلب لقاء لىفى أشكول رئيس الوزراء لأمر هام وعاجل، ولما التقاه عرض خطة ضرب الطائرات المصرية فى المطارات ثم ضرب الجيش المصرى المنتشر فى سيناء بون حماية .. قال أشكول ساخرا :

- كيف تضرب بطائراتك الممتن أسطولا يزيد على ستمائة طائرة ؟

- وما المانع ؟ .. إن مشهد الجيش المصرى فريد وصيد سهل.

- كل ما نملك مائتى طائرة، والقاعدة تقول ألا تهجم بأكثر من النصف

وستبقى النصف للحماية .

قال جور فى ثقة :

- هذا تفكير صدقى محمود قائد الطيران المصرى .

- هذه قاعدة.

- فرصتنا التاريخية .. سوف نهجم بكل الطائرات حتى تعيش إسرائيل

وبدون ذلك سينتهى تماما شعبنا .. خذ قرارك أيها الرئيس .

- سأفكر فى عرضك،

- لا وقت .. يجب أن توافق اليوم.

جمع أشكول المستشارين العسكريين ووافقوا على الهجوم .. ساعات

قليلة اقتحمت خلالها الطائرات الإسرائيلية الأجواء المصرية، ولم يكن لها من

هدف سوى إسقاط قنابلها على الطائرات النائمة .. لقد قتل الصقر الدب،

لأن الصقر مستيقظ والدب فى غيبوبة النوم .. طائراتهم تحلق وطائراتنا

تحتفل، قائد جيشهم يخطط ويفكر ولا ينام ويبتكر ويطلق خياله، وقائد

جيوشنا ي .....

تذكرت ما قاله لى أحمد المصرى نقلًا عن حسين الشافعى نائب الرئيس.

- دعا عبدالناصر صديقه القديم حكيم قائد الجيش للقائه وكان فى غرفة مكتبه يزرعها ذهابا وإيابا منذ أبلغوه بعلاقات جديدة عقدها المشير مع فنانات ، وكان الرئيس قد طلب منه منذ سنتين إنها ، مثل هذه الأمور التى تصب فى صالح الأعداء وتسى إلى النظام كله .  
حضر حكيم وحده بذلك الرئيس .. اعترف حكيم بصحة كل ما سمع مؤكدا إنها ليست إلا مجرد سهرات بريئة وصدقات لا توجد أية غاية من ورائها ..

قال الرئيس :

- لا داعى لها ما دامت ستحضر ولا تنفع .

- أنها مسألة تافهة لا تشغل بالك بها .

- إذن أنته منها تماما .. الأعداء يتربصون بنا حتى فى الداخل .

احتد المشير :

- قلت لك لا تشغل بالك .

صمت الرئيس لحظات ثم قال :

- لو لم تتصرف فى هذا الموضوع ، سأبلغ به الشعب .

أشعل حكيم سيجارة من سيجارة ، وقال وهو يتجه نحو الباب :

- إذا أبلغت الشعب ، سأبلغ الجيش .

عندئذ سقط عبدالناصر على أقرب كرسي ، وهو لا يكاد يشعر بما

حوله .

## المصرى ويوسف

نفذ عبدالناصر فى أعماقى عن بعد، تنتقل أخباره إلى وإلى غيرى عبر وسائل الإعلام، وما يصدره من قرارات، أما أحمد المصرى فقد نفذ فى أعماقى بحكم التعامل المباشر وتأثيره كان أكبر .. عبد الناصر حلم والمصرى واقع حى. نتفق ونختلف فى التقاء شبه يومى.

كان ضابطاً فى سلاح الفرسان الذى كان يرأسه حسين الشافعى فى السنوات الأولى للثورة، ومن رجال الصف الثانى لها، اختلف كثيراً مع الرجال إلى أن قاد عصياناً عسكرياً استجمع له من قادة الأسلحة الأخرى وسيطر على القيادة لمدة أربع وعشرين ساعة أوائل ١٩٥٦ إلى أن قضى على الحركة وقبض عليه وقضى فى السجن عدة سنوات.

كان الرجل يقدر ثقافته ووطنيته، وكم كان يطلب رأيه، لكنه كان متاهبا للغضب من كل ما يهدد التجربة، ويتصور كما قال المصرى عنه أن كل شىء فى حالة زجاجية قابلة للتهشم ، ومازالت البنية الشعبية فى حاجة إلى دعم كبير ورعاية تحفظها من عوامل التعرية السياسية والاقتصادية، لذلك لم يكن ينام إلا فى النادر.

بعد السجن طلب إليه الرجل أن ينزل إلى الحياة المدنية لأنها فى حاجة إلى مثل حنكته وثوريته وحسن إدارته، قبل المصرى من بين المعروض عليه استوديو مصر الذى كان يحمل اسم شركة مصر للتمثيل والسينما، وهى إحدى شركات بنك مصر التى أسسها الاقتصادى العظيم طلعت حرب.. دخلنا الشركة فى عام واحد وغادرناها معا بعد عشر سنوات.

أسمر الوجه متوسط الطول، باسم أبدا، معتد بنفسه، وأنيق جداً. منظم

الفكر والحركة، يملك قدرة غير عادية على إقناع الآخرين ..المواقف التي جمعتنى به كثيرة .. لفت نظرى من أول يوم بفضل ترتيب دماغه وسرعة قراراته الذكية التي كانت أحياناً تجمع في براعة بين المتناقضات . أفاده حماسه للعمل مروره اليومي على كل الأقسام وحواره مع رؤسائها، فى حل المشكلات فى مهدها والتوجيه الفورى لتوفير اللازم لسير العمل، حريصاً على ألا يكون هناك شىء معطلا لآى سبب.

دعانا فى أحد أيام الجمع لنزهة عملية نقضيها فى منطقة مهجورة خلف الاستديو تتجاوز الفدانين .. تهيمن عليها الحشائش العالية، وأدغال الخضرة التي تحوى الثعابين والصفادع والفئران وكافة الزواحف والحشرات، قال إن كل تكلفة النزهة الرياضية على الشركة وغير مطلوب من العاملين إلا الحضور بملابس تتحمل الغبار.

حضرنا من الصباح الباكر فوجدنا الفؤوس والمقاطف والجواريف والبلط فى جانب، وفى ركن بعيد نسبياً خيمة للمشروبات والأطعمة، طلب أن نتعاون على تنظيف الأرض، بدأ بنفسه حاملاً بلطة، يضرب بها الأدغال ويخوض فى الركام المجهول، أسرعته أتبعه .. تشجع الآخرون فى اقتحام تلك المساحة المهجورة على مدى عقود.

مضى العمل حثيثاً وكنا نحو سبعين رجلاً وعشرة من النساء .. أقبل الجميع فى حماسة احتراماً للمصرى وطلباً للرياضة ورغبة فى التسلى، وفرحاً بالصحبة وإعجاباً بالمشهد وتمشياً مع روح الاقتحام الكامنة، يسيطر على الكل احساس غامض بأن ما يتم ستكون له فوائد جمة، لم يكن يدور برأس أحد ما يدور برأسى، إذ كنت منذ اللحظة الأولى قد عثرت على بغيتى .. هذا المكان الجديد المزمع تجهيزه لائق جداً فى نظرى ليصبح نادى للشركة، ذلك المشروع الذى تقدمت به ولم يكن ينقصه غير المكان القريب.

قبل الخامسة كنا قد انتهينا من رفع كل ما يشغل المنطقة، انكشف الأفق وأضاء المكان، أضيف إلى الأستوديو ليصبح مكاناً للديكورات، وتم فيه تصوير عشرات الأفلام والمسلسلات التلفزيونية، وكان المصري قد رفض اقتراحي بتخصيصه كنادي، وإن وافق على تشكيل فريق لكرة القدم توليت الإشراف عليه، ووافق على أن نلعب مبارياتنا على أرض نادي الشركة الشرقية للدخان.

تدريجياً، قربني منه بسبب وضوحى وصراحتى.. لم تفتته ربودى الجاهزة وشبه المرتبة ، وسجالي معه على نحو لم يعهده خاصة إبان عمله فى الجيش. كان أحياناً يسألنى: أيعجبك ما فعله صاحبك (يقصد عبدالناصر الذى لس إعجابى به) أرد عليه ، وبعد نقاش طويل، ينهيه بقوله:

- هذه رومانسية لا أراها ملانمة .. لا للحكم ولا للحياة .

تعددت المواقف بين المدير والموظف وكان يبدو لى إنه فى مسيس الحاجة لشحد فكره بالنقاش، فكان يطلبنى قائلاً:

- هل أنت مشغول غدا الجمعة؟

- ليس بشىء ذى قيمة.

- هل لديك مانع أن تصحبنى إلى الإسكندرية؟

- لا .

بصر على أن أكون معه على الكنبه الخلفية وتمضى بيننا الأحاديث بلا توقف حتى أثناء الغداء والتمشية على الكورنيش، أحياناً يكون معنا فاروق سعيد كاتب السيناريو، مرات قليلة كان معنا الفنان الجميل يوسف فرنسيس.

توثقت العلاقة جداً بعد أن كلفنى بالعمل مراقباً لإنتاج الأفلام ، وفوجيء بى أحل له أعقد مشكلة، يواجهها، وهى مراوغة الممثلين والممثلات

بعد كتابة العقود والرضا بمبالغ معينة. فإذا بهم بعد تصوير عدة مشاهد يتغللون بمختلف الأسباب ويتغيبون عن التصوير، فيتأثر العمل كله .. يحتج بشدة ممثلون آخرون فى نفس المشاهد، وتتبدد أموال مدفوعة للفنانين وإلحاح المعدات والسيارات ويتهدد إيقاع التصوير ويتعكر مزاج العمل بشكل عام، لأن إتمام التصوير حالة يجب أن يتوفر لها الانسجام فى كل شىء.

فى أول فيلم أشرفت عليه كلفت الريجيسير بأن يجهز لى من يشبه البطلة والبطل بدرجة كبيرة من الكومبارس، فيجهز لى خمسة لكل منهما، وعندما شرعت البطلة فى المراوغة، طلبت من المخرج الاستعانة بالبدلاء، ولو من بعيد أو بالجانب أو من الظهر، المهم ألا تكون هناك خساتر.. أصاب الرب الممثلة الشهيرة التى فوجئت بأن هناك من يقوم بدورها، فأسرعت تتصل قائلة:

- أنا جاهزة .. طبيبى عبقرى .. فى يمين فقط شفيت.

علم الجميع بما دبرت فالتزموا وانتهت المشكلة التى هددت كثيراً من الأعمال الدرامية، وقال المصرى:

- أنت فرعونى أصيل ولست مهجناً.

قلت: مثلك ياريس.

شهدت تلك الأيام أيضاً تعرفى على شخصيات مؤثرة .. وتصادقنا وتعددت اللقاءات حتى لقد شغلونى بهم عن الكتابة إلا قليلاً .. من هؤلاء عبدالرحمن الخميسى الشاعر الثائر متعدد المواهب، وأحمد كامل مرسى شيخ المخرجين وحسن الإمام ويوسف شاهين وصلاح أبو سيف وعباس الأسوانى ومحمد مندور شيخ النقاد والضيف أحمد وغيرهم كثير.

فى صيف ١٩٦٨ دعانى المصرى لزيارة السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية فاعترض وسألنى عن السبب.

- أنا لا أميل إلى لقاء كبار المسؤولين فالسلطة لها تأثير مرعب.
- قال : ثوابتك بحاجة إلى مراجعة.
- قلت : هل تتصور أنى أشعر أن علاقتى بك غير آمنة؟
- إذن لم تعرفنى.
- إنك لست وحدك، أنت الصديق والمثقف والعقل الذى يجذبنى مضافاً إليك السلطة.
- أتسمى مدير استديو سلطة .. أفق من ميرات القرية الذى لازلت تحمله وتخلص من أوهامك.
- سكت لحظة، ثم قال:
- اقتحام الحياة مطلوب ولديك أهم الأسلحة .. الثقافة، ثق بنفسك واعتد بها فلديك ما ليس لدى الآلاف.
- الاختلاف فى المكانة يفضى إلى ..
- قاطعنى :
- الكبير حقاً هو الذى يحمل الفكر وليس حامل المال أو السلطة.
- ضحكت وقلت:
- أمسكت بك مثليساً بالرومانسية.
- أتحدث عن حقائق خالدة لا عن عواطف.
- على الأقل هذا ليس فى مصر.
- فى كل مكان وكل زمان وإن تأثر ببعض الظروف العابرة.
- بخلنا الردهة فى فيلا الشافعى، كان هناك فى ركن بعض الشخصيات، كنت مرتبكاً . قدمنى لهم أحمد المصرى ببعض كلمات المديح ثم قال: وفوق هذا ناصرى أكثر من ناصر نفسه.
- تذكرت أنى رأيت بعض الوجوه . لم أهتم بشحد ذاكرتى. لم أكن راضياً تماماً.

قال الشافعى وابتسامته تضىء وجهه الجميل:

- رجل يفهم يا أخى .. ألا يعجبك؟

تبادل الجميع الحديث ومعهم المصرى الذى حرص أن يكون إلى جوارى، وكان أحياناً يميل على ليوضح أمراً.

بعد نحو ربع الساعة بلغتنا طرقات خفيفة لأقدام متعجلة، دنا صاحبها من الشافعى، الذى قال وهو يتحرك خارجاً:

- الرئيس وصل يا جماعة.

اضطربت وتوجست..

سألت المصرى:

- الرئيس عبدالناصر ؟

رد بسرعة: - فيه ريس غيره .. مالك .. أليس صاحبك؟

لم أجد ما أقول، ولم أسيطر تماماً على أعصابى .. تركزت نظراتى على الباب الخارجى دق قلبى وزاغت نظراتى.

كان الرئيس نون موعد قد حضر بسيارته السوداء الخاصة .

ظهر على الباب الذى بالكاد يكفيه .. دخل متدفقاً يرمى ساقيه كالجمال مرتدياً بنطلون بنى طويل واسع، وقميص كريم بنصف كم، وبيده نظارة سوداء كان قد اعتاد حسب ما علمت ارتداها كلما خرج وحده بالسيارة إلى الشارع يتأمل أحوال الناس.

حيا الجميع ثم جلس.. بدت عالية ساقاه الطويلتان ولحت رأسه الكبير عن قرب.. وضع النظارة على المنضدة وجلس إلى جنبه الشافعى. سأله عن السيدة ماجدة والأولاد وسأل شخصاً اسمه عباس ولعله كان على الأرجح عباس رضوان وثان باسم صلاح.. تراجعت الوجوه والأصوات وشغل الرجل كل المساحات فى رأسى وعيونى ، شملنى الإحساس القديم بأن الكون ضبابى، إلى أن التفت إلى المصرى وقال له:

- سمعت إنك عامل شغل كويس فى السينما .
  - تتم الآن دراسات لتطوير السينما .
  - نظر إلى الرئيس وهو يقول:
  - السينما الجيدة والجميلة أهم من المصنع .
  - نحاول الاهتمام بالفيلم التسجيلى .
- قال الرئيس :

- التسجيلى مطلوب . والروائى . فيه أحداث وشخصيات تاريخية كثيرة تحتاج لمعالجات .

- المشكلة إننا نبحث عن الدعم والكوادر .
- الدعم على الكوادر عليك .
- انحلت المشكلة .
- بالنسبة للدعم حدد أولوياتك .
- المعامل والبلاطوهات .
- عندك حق .. هذه الأمور أساس السينما .. نخلص من البلاوى السودا اللي فى سينا ، وننقل البلد نقلة ثانية .
- عاد ينظر إلى ..

لاحظ المصرى ذلك .. فقال :

- فؤاد زميلى فى الشركة وكاتب قصصى له مستقبل .
- نهضت بسرعة وتقدمت منه .. سلعت عليه بحرارة ، اختفت يدي فى يده ..
- ولما حاول سحب يده تمسكت بها .. عيني توشك أن تطلق دموعها ، فحبستها ،
- أسرع أحمد يقول :
- ناصرى عنيد .

ابتسم عبدالناصر عندئذ ابتسامة حزينة لا أنساها ما حيتت .. ابتسامة موعودة .. قلت بصعوبة :

- ربنا يدك الصحة ياريس.

خشيت أن يخبره المصري بأمر رسالتى إليه فى أعقاب الانفصال ..  
الرجل فى حالة لاتسمح بتذكيره بالمواقف التعسة.

- تفضل ياريس.

التقت الرئيس فوجد صوانى معدنية كبيرة عليها كميات من اليوسفى ..  
مد يده فرحاً كالطفل .

- الله .. يوسف .

التقط برتقالة واحدة وقشرها على عجل والتهم فصوصها، وأسقط  
بنورها فى كفه اليسرى، ووضعها فى طبق زجاجى عليه رسوم ملونة لم  
أميزها، امتدت يده اليمنى تلتقط الثانية، وقشرها على عجل. كان واضحاً  
أنه يحب يوسف أفندى.

قال وهو يفتحها ويهم بوضع عدد من الفصوص فى فمه:

- ماذا جرى للزراعة؟.. العلم الحديث غير كل حاجة .. برتقال فى  
الصيف؟

ضحك معظم الحاضرين، بينما كنت على حالتى أرقبه، كاتى أرقب كائنات  
أسطورياً قادمات من أعماق التاريخ.. تأمل فى دهشة مايجرى حوله قبل أن  
يحدد رد فعله.

كنت أول من لاحظ أن فمه توقف عن المضغ، و هو يراهم يضحكون،  
حتى قال أحدهم.

- لا علم ولا حاجة ياريس .. اليوسفى وصل حالاً من باريس.

ازرق وجه الرجل ثم زاد سواده واحمرت عيناه، واتسعبتا، تلتفت يمينا  
ويساراً، ربما ليرى أثر ما قيل على الحضور.. بثت عيناه رعباً هائلاً وساد  
صمت رهيب.

حرص الجميع على مراقبته ، وقد بدا متأخراً أنهم أيقنوا بالزلل والخطر

المتوقع. كان الذهول شاملاً .. صوب الكثيرون نظرات غاضبة إلى قائل العبارة الازمة .. أخيراً ألقى مافى فمه على المنضدة.. أسرع الشافعى إلى الخارج وفى أعقابه نهض الرجل بصعوبة. ولما وقف بدا أضخم مما كان وأوشك أن يرتطم بالسقف.

قلت للمصرى هامساً ومرتعداً:

- سوف أذهب.

ضغط بيده على ركبتي وهو يقول:

- لن تتحرك قبل أن يأتى سيادة النائب.

بعد لحظات عاد الشافعى بقلب كفيه ويقول:

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

سأله المصرى عن الحال، فقال:

- فهمت أن الرئيس سيخرج مندفعاً وغاضباً.. قلت لسائقى أن يفتح له

باب السيارة الخلفى. وهو بالطبع لن يتذكر أنها سيارته فيجلس على الكنبه الخلفية، ويتطلق به السائق حتى بيته، لأنه إذا قاد بنفسه، سيتسبب فى عدة حوادث.

وقفت من جديد لأتحرك ووقف آخرون، فقال الشافعى.

- لا أحد يتحرك قبل أن يعود السائق ونعرف ماذا جرى، فقد قلت له:

سجل فى رأسك كل حركة وكل كلمة تصدر عن الرئيس.

اضطرت للبقاء .. احتد الحديث بين الجميع.. ارتفع ثم هداً وعاد للصعود والحدة إلى أن عاد السائق الذى كان يلتقط أنفاسه بصعوبة.

قال لقد جلس الرئيس خلفى مباشرة، هادئاً فى البداية ثم سرعان

ما صار يخبط بيده الثقيلة على الكنبه وراء ظهرى مباشرة وهو يقول:

- الكلاب .. لا أحد يحس . البلد محتلة وهم يطلبون الطعام من

باريس.

يمسك رأسه ثم ينفخ حتى يطير شعري، ويضرب الكنبه بقوة فتكاد تختل في يدي عجلة القيادة .. كان كالأسد المحبوس يعاود القول وهو يضرب كفا بكف ويتنهد بغضب:

- أعميت قلوبهم إلى هذه الدرجة؟ أفقدوا الإحساس حتى إنهم يحضرون البرتقال من فرنسا؟ ومن يعلم ربما يطلبون غيره من نول أخرى وتعمل لحسابهم شركة الطيران ..

أخذ يتلفت في كل اتجاه وأخيراً زعق.. البلد يا ولاد الـ.. ثم يعود للخبط الشديد فوق الكنبه.. كدت أصطم عدة مرات بالسيارات، الحمد لله ربنا ستر. وصلنا بيته، وتركت السيارة بمفاتيحها بعد أن نزل منها مسرعاً. وتشهدت وكان قلبي يخفق بشدة خوفاً أن يناديني ويسألني عن أي شيء، كانت حالته تصعب على الكافر. مال السائق فجأة على جنب وانكمش واندفع بيكي ويرتج جسده كالمصعوق.

عندئذ سلت دموعي المحبوسة وقال الشافعي:

- عاجبكم .

قال واحد من الحضور له شنب بوجلاس ، ولا يترك سيجارته أم ميسم:

- لا تشغل بالك ياسيادة النائب، هي طبيعته التي لن يغيرها، يغلقتها على نفسه وعلينا.

عدت والمصري نون كلمة واحدة .. حاول أن يفتح حديثاً أو يعلق، لكنني كنت غير مستعد للحوار .. كانت روجي في أنفي والكوب ممتليء حتى الحافة. أنتفس بصعوبة وقد شملني خاطر مستبد، أن هذا الرجل سيموت قريباً لأن معاناته فوق احتمال البشر.

## أخيراً .. الزواج

ما أن ظهرت النتيجة حتى توجهت إلى بيتها لأطلبها من أهلها.. أخيراً بعد خمس سنوات من الحب العذرى الذى لايتجاوز لمس الأيدي وتبادل الكلمات الحاملة والمحلقة خلف أنفاس كيوييد الذى يبدو كأنه لم ينشغل بغيرنا حريصاً على أن يزورنا بالليل والنهار. فى أتوبيس الشركة وفى كل كازينوهات القاهرة وعلى كورنيش النيل، من شبرا إلى المعادى.. لقد تعب معنا كثيراً. وأن أن تنتقل مهمة رعاية حبنا إلى الماتون والأهل.

لم نختلف يوماً واحداً، بل ولا ساعة أو دقيقة .. طائران يحومان معاً .. يصعدان ويهبطان وياكلان ويشربان .. تنام الأيدي فوق بعضها وتغوص العيون فى بحيرات العيون.

كل يوم يمر أشعر بالسعادة الغامرة لأنى أقترب من موعد تنويج العلاقة العاطفية العميقة والوثيقة والمشردة فى الشوارع برابطة رسمية .. كل موظفى الشركة يعلمون تفاصيل قصة حبنا المشهورة ويحترمون علاقتنا جداً، وكم فكر شاب غريب أو جديد أن يتقدم من هند للحديث إليها أو لطلب الزواج منها.. سرعان مايجد الرد من أى شخص.

- ابتعد .. محجوزة لفلان.

- كنت أود.

- ولا كلمة.

فى رحلات اليوم الواحد إلى القناطر أو كبريتاچ حلوان أو الهرم .. أو

القلعة أو الفيوم .. كان الزملاء يركضون ويلعبون ويمارسون كل ألوان اللهو والفرح والمرح، ويتركوننا وحدنا نتحدث حديثًا لا ينتهى، ولا أعرف لماذا لم يكن ينتهى أبداً ..

وصفت لى المنزل .. ومع كل خطوة تقربنى منه، كان القلق ينتابنى وينفذ بداخلى على عجل مثل مسمار قلاووظ .. حارة من داخل حارة ثم أسأل .. زقاق إلى اليمين وعطفة إلى الشمال أسأل ، إلى أن وصلت ، وأشار لى آخر من سألت إلى البيت. قلبى يدق وخطواتى تتراجع بتوجس إلى الأمام وتتوقف ثم تفكر فى التقدم للخلف .. هناك لابد خطأ. البيت أكاد أرى سطحه لو قفزت..، أو لو كنت أطول قليلاً.. النافذة من يفتحها لا يرى أعلى من ركبتي.

فكرت أن أتجاوز البيت وأمضى من الحى كله، فوجدت أن الحارة سد، وعلى أن أعود إلى الورا، لكنى لا أدرى كيف وصلت .. اختلط عندى اليمين بالشمال .. هل أنا فى ورطة؟.. هل هذا كابوس .. وقف أبى وأمى أمامى، يسألانى..

- ألا تعرف البيت؟

- أعرفه .

- أين؟

- هنا .

تنهد أبى ورفع رأسه إلى السماء، وضربت أمى صدرها ، يكفى اصفرار وجهها وتجهمه الشديد ونظرات العتاب النارى التى تغرسها فى عيونى فيما يشبه الازدراء.. الغريب أن هذا ما حدث بالضبط عندما جاء معى بعد ذلك

بشهر .. ولم يكونا معى عندما حضر كيوييد علي عجل ودفعنى خطوات  
قائلاً : انتظرت طويلاً . هيا ..

طرقت الباب وفتحت لى صبية فى نحو الثانية عشرة .. راعنى مشهد  
الأرض المنخفضة ، والضوء الشحيح فى هذا القبو العجيب .. سألت  
البنات:

- هل هذا منزل الأستاذ شلبى الحيدى؟

ضاعت ملامح الصبية لحظة ثم ابتسمت قائلة:

- نعم .. اتفضل يا أستاذ فؤاد.

لم تكن هناك سلالم للهبوط المتدرج، كان على أن أتماسك جيداً وأنزل  
قدمى وانظرها حتى تلمس الأرض ثم أتبعها بالقدم الأخرى .. تعجبت  
لقدره سكان الدار على صعود هذا الحاجز والقفز منه إلى الداخل .  
وتعجبت لعجزهم عن بناء مطلع أو درجات أو الاستعانة بمصعد ولو بدائى .  
وقفت أتطلع إلى القبو .. تعجبت لطوله وضيقه، فهو ممر مظلم جدارنه  
مهترئة تكاد تطبق على ضلوعى لولا أن السقف عال كسقوف المستشفيات ..  
أشارت لى الصبية وأنا لازلت فى أول نزلة إلى باب صغير على اليسار .  
نفذت منه إلى حجرة عجيبة منخفضة وضيقة، بها أربعة كراسى صغيرة  
جداً تكسوها أقمشة كانت ملونة يوماً ما ولكنها الآن حائلة، بها مزق كثيرة  
فى الأجناب وعلى المساند.. الحيطان كان لونها أزرق .. هذا واضح لأن  
القليل منه لازال معلقاً بها.

جلست .. يبلغنى من فوق رأسى وقع أقدام العابرين فى الحارة واحتكاك  
شباشبهم على أرضيتها الحجرية .. لم أستطع أن أمنع نفسى من استعادة

تفاصيل الكابوس وكيوبيد الطائش يقول لى : ضع هدفك نصب عينيك  
وتجاهل تماماً ماعداه.

طال الوقت فاعتصرتنى الكابوس، بينما كان كيوبيد يجتهد فى تجفيف  
عرقى والتربيت على قلبى المرتعد..

بعد نحو ربع ساعة مر على (داس على) كشنهر، انفتح الباب عن سيدة  
ضخمة حاولت جاهدة الدخول حتى تمكنت .. وقفت .. سيدة جميلة بيضاء  
متوردة .. ترتدى ثوباً أبيض وعلى رأسها طرحة برتقالية .. سلمت عليها  
ورحبت بى، حاولت أن أعرف أين ستجلس فهى تشغل الحجرة جميعها  
تقريباً. لكنها لا أدرى كيف. تجمعت بشكل ما وجلست على الكرسي  
الصغير الذى لا يزيد عرضه عن شبر ونصف.

كانت هند وراها .. كان يجب أن يحدث العكس، لكنه ربما الاحترام  
الشكى .. عرفتنى بأمرها وعرفتها بى، جلست وتأملت هندامى، كى تطمنن  
أنى أحوز الرضا.. أظننى سأحوزه، فقد كنت أرتدى بدلة جديدة لم تستعمل  
من قبل. رمادية مشرقة وقميص أزرق ورابطة عنق بمبى فى أزرق ومنديل  
بمبى فى جيب الجاكت، كما كنت متمتعا بشبابى وفرحى لأنى سأخطب  
هندا.. أجمل كائن فى الوجود .. أمها كانت أجمل وكان حجمها تقريباً  
أربعة أضعاف حجم ابنتها .. كيف حدث هذا؟ هند تساوى فحذا واحدا أو  
نصف صدر مع ذراع.

عيون واسعة سوداء، وشعر أسود فاحم يبدو من تحت الطرحة، تخترق  
أربعة شعرات بيضاء على الأكثر، جاء ولدان لايشبهان هنداً، فهما سود  
البشرة ولكن الصبية التى فتحت لى باب الدخول إلى هذه العائلة العجيبة

تشبه هذا فى كل شىء تقريباً .. نعم .. إنها عائلة عجيبة، فقد جاء رجل صنيل جداً، أبيض البشرة لا يكاد يفتح فمه .. هو أبوها شلبى الحديدى، عرفت بعد ذلك أنه طليق السيدة ، ثم جاء رجل ضخم أسود، مؤكداً هو زوجها الحالى وأبو الولدين، وعندما جاء الرجل الأخير خرجت هند لأن الكراسى لاتكفى والأكسوجين .. أحسست بالحصار فى الحجرة الضيقة مهترئة الطلاء.. سألتنى الأم عن أشياء ولكنى كنت شارداً.. أتذكر أن هنداً قالت لى قبل خمس سنوات:

- لن يقبلك أهلى إذا لم تكن خريج جامعة.

طالت الجلسة ولم يكن أبو هند ينطق لأنها طبيعته والآخر لاينطق لأن الأمر فيما يبدو لايغنيه.. علمت بعد ذلك أن الزوج الحالى هو الذى ينفق على البيت وأن شلبى لاعلاقة له بأى شىء، ولا حتى بابنته.. بل لم أره طوال سنوات ثلاث تالية .. الرجل الأسود الذى لم أره بعد ذلك إلا وهو فى ملابس ورشة الميكانيكا متسخ الملابس واليدين والوجه والهباب، لكنه كان فى غاية الكرم مع السيدة الجميلة وأولادها من الطرفين.

رفض أبى وأمى تماماً هذه الزيجة وأقسما ألا يوافقا عليها حتى لو انطبقت السماء على الأرض، كانا رحمة الله عليهما ينوبان حباً فى، حتى لقد كان شبه معروف فى الأسرة أنهما يفضلانى على إخوتى، وهذا لم يكن صحيحاً، كل ما هنالك أنى ألتزم بأوامر الخالق سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم، فلم أقل لهما أف أبدأ، إلى درجة أن أبى كان يضربنى صغيراً ، فإذا طارت من يده العصا اندفعت إليها، وناولته إياها، وأنا لا أستعرض أو أزايد .. لكننى كنت فخوراً بأن أقبل أيديهما فى محفل، ولو أتيت لى

لقبلت أقدامهما فهما، الرحمة والحب والحنان والنصح والرعاية والحصن الدافئ، والسند.

طاردهما فى كل دقيقة فإزدادا إصراراً، إلى أن استعنت بجدى لكى تقنع ولدها بالموافقة، وكانت تقرب من المائة فاقدة السمع والبصر، منكومة فى ركن من دارها، ليست أكثر من عظيما قليلة ناحلة، لاتكاد ترفع قشة من الأرض. قالت لأبى:

- زَوْجُهُ يَا وَلَدِ، وَإِلَا

قال وهو يبحث عن يدها ليقبلها بينما كان يكبح دموعه : حاضر يا أمى.

بكيت، ولكنه قال:

- اعلم أنى سأوجه إلى الله ألا تكون من نصيبك.

شعرت بالطعنة .. همس كيوييد بسرعة فى أعماقى قائلاً :

- المهم أننا ثلنا ما خططنا له طويلاً..

عدت إلى أبى وأمى، أغمرهما بقبلاتى، ليس فقط من أجل الموافقة التى منحها لابنهما المحب، ولكن أملاً فى ألا يغضبا على دقيقة واحدة .

عقدنا القران واستخدمت السيدة السمينة الجميلة ابنتها فى اصطياىى. دفعت المهر عدة مرات واستدرجتنى كل ليلة كى أشرح لجميع أولادها دروسهم، وكانوا فيما أظن ستة غير هند، أكبرهم فى الثانوية العامة وأصغرهم فى الأولى الابتدائية أى أننى فى الأغلب شرحت كل مقررات التعليم المصرى فى جميع السنوات. واستمر ذلك أعوام ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢ وبالتحديد من أكتوبر ٦٩ حتى يونيو ١٩٧٢م.

رغم أنى عملت مراقباً مالياً وإدارياً للأفلام فى شركات السينما الحكومية وكسبت كثيراً فقد تبدد كل ذلك على تجهيز الأثاث الذى لم يتكلف أحد فيه مليماً وكان بالكامل على عاتقى ، وإذا أبديت بعض التحفظ تغضب هذ ويتدخل كيوييد الذى يمسنكى من قلبى .. أصبحت أمها أيضاً تمسكنى معه، حتى أوشكت أن أتسول.

كل قرش تسحبه من زوجها تنفقه على الطعام .. لا تكف عن الأكل الذى ختاره بمزاج وترتيب وتنفق عليه اليوم كله، وما تثبت أن تطلب عشاء فاخرا ن المحلات المجاورة وكانت ترغمنى على العشاء، وإلا صرخت وهاجت ادعت المرض ، وهددتنا بقلبها الذى يعانى كثيراً ليضخ الدم فى هذا لكيان الضخم .. كانت دائماً تقول لى بحنان:

- أنت تعيش وحدك فى القاهرة، ولو لدينا مكان يناسبك لأبقيتك معنا.. من أجل خاطرى لا ترد لى كلمة خاصة عندما نضع الطعام.  
كائن خرافى .. جميلة جداً وشرسة جداً أحياناً . حنون .. قوية الشخصية، نكية جداً لا يضحك عليها أحد ولا يغلبها .. يخشاها الجميع حتى باعة السوق بلا استثناء .. تمتلىء بالحياة.

أنقذت منها أولادها عدة مرات، وهى تركب بغخذا الهائل فوق الواحد منهم، إذا تأخر عن مواعده وبالذات .. البنات . هند وسمية ونوال.. أقوم بعملية الانقاذ بعد أن يكون الضحية قد أوشك على لقاء ربه، لأننى فى الحقيقة لا أستطيع أن أحرك عضواً من أعضائها اللحيمة، ليس عن ضعف، بل لأنها حين تغضب تصبح وحشاً، كما أنها لاتحب أن يوقف بركانها أحد. تريد أن تتوقف بمزاجها، وأن ترحم بإرادتها وأن تغفر وقت تشاء، وعادة

يكون ذلك بعد أن تشبع وتشفى غليلها .

لا أنسى المشهد المخيف . فقد قذفت سمية بوابور مشتعل كانت تستدفئ على ناره فى ليلة شتوية ، ولم تكن هند بعيدة تماماً عن ثورات الأم الغاضبة .

على كل محلات الأثاث الفاخرة تدور هند وتختار أفضل التصميمات والأخشاب والتجهيز وتحمل المواصفات إلى النجار الذى اتفقت معه أمها وهو على ناصية الشارع الذى تتفرع منه عدة حارات تفضى إلى حارتها .  
كلما شكوت لهند قالت : اصبر .. هانت .. اصبر ، هانت .. فأت الكثير ..

حتى كان أكتوبر ١٩٧٢ ، ولا أدري ما حكايته معى أكتوبر .  
لكنك لم تذكر إلا القليل جداً مما حدث لك مع هذه العائلة العجيبة ، وأنت الذى سميتها كذلك كما سميت عائلتك من قبل ، العجائب مختلفة والطباع أيضاً . ولم تشر من قريب أو بعيد أنك كنت معجبا بالأم ، تحديق فى ملامحها طويلاً وإنك تحبها وترضخ لها برغبتك وتجد متعة فى أن تستبقيك فترضى . وكنت تهديها زجاجات العطر الثمينة .. لماذا؟ .. اعترف .. لم يكن حبك لهند هو فقط الذى جعلك تتحمل الغرائب وبعض الأمور المتدنية أو الهابطة ..

توقفى بالعينة .. فليس كل شىء يقال ، وما هى إلا ظنون أربابك أن تسمحى لها أن تخطر على بالك أو تتغذى على أهوانك .. فكونى كما عهدتك غير أمارة إلا بالخير .

## جابر

عن أحداث ١٩٦٧م، كتبت روايتى الأولى «أشجان» بين سنتى ٦٨، ١٩٦٩، وقد نالت استحسان بعض الأصدقاء من الكتاب .. أعجبتهم شخصية جابر الذى تطمح كل الشخصيات أن يعود كى يرتب البيت بعد الاحتلال الصهيونى لمصر ، وكنت قد اخترت الاسم تقديراً لزميلى الفنى فى صالة العرض باستوديو مصر، إنسان بسيط لكنه مثقف وماهر جداً فى كل ما هو يدوى ، قوى البنية ، يحبنى جداً .. ما أن أطلب أى خدمة حتى ينفذها فوراً، يكفى أنه كان يخرج لى سيارتى الخنفساء المحشورة بين سيارتين .. يرفعها بيديه من الأمام والخلف عدة مرات، وكم تكرر هذا المشهد.

هو الذى نقل أثاث بيتى ومكتبتى نحو سبع مرات من شقة إلى أخرى بعد أن يكون قد لف ودار أياماً يبحث عن الشقة المناسبة ثم يدعونى إليها. كنت أترك البيت وأسلمه المفتاح وأغيب أسبوعاً، أقيم خلاله عند خالتي فى شارع مسرة بشبرا حتى ينقل كل ورقة وكل كتاب وكل كوب وحلة، ويرتب كل شىء على مزاج زوجته التى تقتفى أثره فى حبنى، ثم يأتى مكتبى بالمفتاح الجديد .. ينحنى فى طقس مسرحى لطيف راجياً أن أُنقَل وأتعطف بسكنى البيت الجديد .. مخلوق رائع تجعلك تصرفاته تبدو المزيد من الإعجاب بالخالق العبقري.

فى إحدى المرات طلبت الانتقال من الشقة خوفاً من القتل، كان حتماً أن أموت رمياً بالرصاص وليس باى وسيلة أخرى، فقد علمت ذلك أخيراً، ولم يكن لى يد فى دفع القاتل نحوى ، ولا كان بسبب ارتكابى أى جرم. وما

كنت أعرف القاتل ولا يعرفنى، ولكننى تيقنت فجأة أنى مقتول.. مقتول ،  
فى عز شبابى ولم أبدأ الحياة بعد، كنت قد عقدت قرانى على من أحب  
أسبوعين فقط بون أن أتمتع بزواج فعلى، وانتهيت من روايتى الأولى، !  
هى كلها بدايات وبالقلم الرصاص على طريق إثبات الذات.

عدت فى ليلة بعد زيارة هند وأهلها وقضاء ليلة مرحة وهنيئة .. حاول  
النوم فلم أستطع، توصلت إليه فلم يستجب، وكى أتخلص من حالة اللا نو،  
واللا يقظة، نهضت بحماس وأعددت كوباً من الشاي ورأيت أن أقرأ رواية  
مذكرات محكوم عليه بالإعدام «لديستوفسكى» ، إذ طال عليها الأمد وهى  
على المكتب بون أن أقربها وأنا من عشاق هذا الكاتب الفذ.

الصمت شامل والجو بديع .. نسيمات رقيقة تلمس جلدى برهافة  
والكتاب شائق، والموضوع له جاذبية إذ أننى لم أتصور يوماً مشاعر  
المحكوم عليه بالإعدام .. الشخص الذى يعرف بالتأكيد أن الحكم صدر عليه  
ليلقى حتفه، وتصدق على ذلك من كل المسئولين وأصبحت النهاية البشعة  
على بعد أيام.

عليك أن توضح للقارئ، أنك حتى هذه اللحظة .. وعندما اخترت الكتاب  
لم تكن تعلم أنك ستقتل .. وإنما هذا ماظهر بعد ساعات قليلة.

لديك حق، لفتة ذكية منك .. مضيت أقرأ والليل يستدرجنى للسهر  
ويدفعنى أن أتجاهل أهمية الحصول على قسط كاف من النوم استعداداً  
لعمل الغد الذى سيبدأ مبكراً إذ تعين تجهيز ميزانية الفيلم الجديد وعرضها  
على اللجنة التى سيحضرها المخرج ومهندس الديكور ورئيس الشركة  
بحضورى ، وتوقيعنا عليها يعنى التزامنا بكل بنودها .

بعد ساعة وبينما الصمت شامل تماماً، سمعت صوت احتكاك حاد  
«تشيك تشيك».. أعطيت كامل سمعى للصوت الغريب.. كان احتكاك حديد  
فى حديد .. جمعت كل أعصابى فى أذنى، وتسمعت بقوة شفت مركززة ،

نعم.. حديد فى حديد.. المصدر قريب .. فتحت الباب بمنتهى الحذر ..  
الصوت قريب جداً أه .. إنه من الحجرة المجاورة .. كانت الشقة من ثلاث  
غرف .. غرفة سفرة وغرفة أسكن فيها وغرفة يسكنها قريب لصديق رجانى  
أن أتقبله معى وسيدفع نصف الإيجار، وحكى لى ظروفه كطالب فى السنة  
النهائية بالحقوق .. سنتحمله إذن عاماً واحداً .

وضعت أذنى على باب غرفته فسمعت الصوت نفسه .. قررت دفع الباب  
فجأة لاكتشف ما يحدث ، فقد لعب الفأر فى عبي ... كان الباب مغلقاً ..  
طرقته بقوة وعجلة .. توقف الاحتكاك وبلغتنى قعقة .. افتح يابكر .. افتح ..  
فتح بكر وهو بالفانلة والشورت، كان الرعب يشمله .. اقتحمت الغرفة  
وأسرعت كرجال البوليس إلى المرتبة فرفعتها .. لم أجد شيئاً . وجدت ما  
أبحث عنه تحت السرير .

كان مسدساً كبيراً فى حجم نصف بندقية .. صناعة تبدو محلية وفقيرة  
.. سألته . لم يرد .. عدت أسأله، ولماً لم يجبنى أخذت «الفرد» . واتجهت إلى  
الباب فأسرع إلى .. أمسكنى وهو ينكس رأسه .. قال:

- أرجوك .

- أرجوك أنت ..

شدنى وأجلسنى إلى السرير .. كان بكر طوال الشهر الذى أقامه طيباً  
ومودباً، وكان مخلصاً فى تنظيف الشقة والأواني وترتيب كل شىء، مع أنه  
يدفع مثلى، مد يده إلى بربع ورقة، مكتوب فيها سطر واحد «سليم علم بانك  
تسكن شارع الهرم» .

مددت شفتى جهلاً .. قال:

- سليم يطلبنى .

فهمت .. سألته:

- وهل تستعد له؟

- لابد

- لكنه لا يعرف أنك تسكن هنا .

- سيعرف بسرعة جداً .

- والعمل؟

- من الغد لن أغانر الجنيئة .

يقصد الحديقة الأمامية للبيت .. كان البيت من دورين فى منطقة شبه زراعية .. على بعد بيتين من شارع الهرم الرئيسى .. الظلام يشملها ، لأنها قليلة السكان .

وقف ينتظر رأى ، لم أعلق .. طارت كل الأفكار .. رأسى خاوية تماماً .. كنت غارقاً فى تأمل مسألة الثأر ، وقد تصورت إنها انقضت ، وأصبحت السينما تتناولها بشيء من السخرية .

تركته نون كلمة ، وعدت كالنوم إلى غرفتى . جلست إلى المكتب ذاهلاً إلى أن وقعت عيني على غلاف الكتاب .. تصورت للحظة أنه يتحدث عن بكر المهدي .. أقبلت على القراءة بعقل مختلف أحاول أن أسبق الكتابة .. لكن الأوضاع والأسباب مختلفة .

تنقلت بين الكتاب وبين جارى .. قرأت قليلاً وفكرت فى أسرة بكر ، وفكرت فى صديقى الذى أحضر لى قريبه . قبل الفجر بنحو ساعة تذكرت رواية « اللص والكلاب » لنجيب محفوظ ، حيث قتل سعيد مهران أحد الأبرياء بعد أن نقر باب شقته وفتح الرجل الباب ولم يمهله الجانى لحظة حتى يتأكد أنه من يطلبه .. أنا إذن الذى سأقتل وليس بكر .. ربما نام بكر فى الحديقة وهو مختبئ ، أو ذهب يقضى حاجته ، ووصل طالبه وطرق الباب وقمت ففتحت له ..

طرقت باب بكر مبكراً كى أقول له .

- ابحث لك عن سكن آخر .

لم أجدّه.. عادت كل الفئران التي تملأ الأرض تلعب في صدري .. عدم وجوده، يعنى أنى مقتول .. مقتول .. فأين ذهب؟.. ربما فضل أن يستعد من الآن في الجنينة.

أسرعت إليها .. لم أجدّه .. هل يكون الجانى قد حضر وقتله بمسدس مكتوم الصوت، وهو الآن جثّة داخل الغرفة.

قاومت نفسى حتى لا أكسر الباب ، وأخيراً كسرتّه ، فلم أجد جثّة بكر، وبحث عن «الفرد» ، فإذا به مسنود على الحائط وراء الباب .. تركت له ورقة تقول: ابحث لك عن سكن آخر اليوم قبل الغروب.. أمر هام جداً وعاجل.

ذهبت إلى العمل وظللت أتابع أحداث القتل والأخطاء التي تخالطها وتوجه الأمور إلى نهايات غريبة ، حتى اقتحمتنى خاطر ملت إليه واقتنعت به، وهو أن أغادر أنا البيت إلى خالتي في شبرا لمدة أسبوع ، وسواء بقى بكر فى الشقة ، أو على قيد الحياة أو فارقتها ، فسوف أكون فى مأمن.

أخذت حقيبتى إلى شبرا، ذلك الحى الذى أحبه، وأمضيت أسبوعاً، ثم عدت، فوجدت فور أن فتحت باب الشقة ورقة تقول: سليم علم أنك تسكن هذه الشقة، أرحل فوراً.

سقطت الحقيبة من يدي، وأسرعت بغلق باب الشقة، طلبت جابر لينقل ما فيها إلى شقة أخرى، لأنى إذا بقيت الليل فلن يطلع على الصباح، مازال الرجل يطلب «بكر»، وبكر لم يقتل بعد، وعلم الرجل مكان خصمه وهو الآن فى الطريق .. بعد يومين كنت فى شقة جديدة، لكننى عدت بعد شهر أطلب جابر كى ينقلنى منها لأن صاحبة البيت جميلة جداً، وزوجها جزار شرس جداً، والسيدة تبدى عناية خاصة بى فتذكرت فيلم «السفيرة عزيزة» .. وأسرعت أطلب الغوث.



## الجبر والاختيار

لما علم أنى انتهت منها، أصر حمدان جعفر على قراءتها، ولما أتم القراءة، قال إنها ستكون باكورة أعمال دار النشر التي سيؤسسها قريباً، ولم يكن معه مليم واحد، ثم اختفى ليعمل في الخليج وغاب عن مصر عشر سنوات وأنا أكاد أجن لأن الرواية كانت مخطوطة، وليس لدى منها نسخة أخرى، وقد عاد عام ١٩٧٩ وأسس الشركة العربية للنشر وكانت «أشجان» أول ما نشر أوائل عام ١٩٨٠م.

حمدان ابن أخميم .. صديقي الحبيب وزميلي في قسم الفلسفة، يشهد بفرح حقيقي حوارى الدائم مع الأساتذة، وضيق البعض منهم بنتائج قراءتى، كما تحمس للموضوع الذى اقترحتة على الدكتور زكريا إبراهيم كى أعد حوله رسالتى للماجستير.. «الإنسان بين الجبر والاختيار»، لكن الدكتور زكريا ظل يرجىء الموافقة على الموضوع بحجة أن العنوان يحتاج إلى بلورة، وإن كان يؤيد الفكرة، حتى لقد ضاع عام تقريبا بين أخذ ورد، إلى أن نصحنى بمحاولة اختيار موضوع غيره أكثر تحديداً مثل المقارنة بين فيلسوف عربى وأوروبى، لكنى كنت محتشداً للموضوع وسودت عشرات الصفحات على الدرب ذاته بما يكشف ترجيحي إن الإنسان مخير فى كل شىء.

كنت أرى العالم يحفل بالشورور والمكائد، ويعج بالمشكلات ويسحق الناس الفقر والجوع وتمحقهم الحروب، ويستحيل أن يكون الله وراء كل ذلك.. الإنسان الأنانى والجشع والطاغية هو الذى يفعل.. ولعل رؤيتى هذه هى السبب فى تراجع حماس د. زكريا لأن شكوكاً كثيرة تكتنف وتحوم حول مسألة حرية الإنسان، وهى من الأمور التى تسعى كل الفلسفات تقريبا للاقتراب منها وبلوغ أطرافها، لكن الحياة

في المقابل تعطل ذلك وتدفعنا إلى أن نقر بالعكس.. أحداث كثيرة حتى في حياتي شخصياً كانت تَمْضِي في غير اتجاهي.

ومن المعروف في الفلسفة أنك تترك للعقل كامل الحرية كي يفكر ويتأمل في الوجود بعيداً عن الدين وكأن الله غير موجود ولعل هذا هو السر في رعب البعض منها، وأرى أنها أروع تجليات الفكر وأفضل العلوم.. متعة غير عادية أن تفكر في الكون بعقلك وحده، ولقد كنت مشدوها لأنني كلما استخدمت عقلي وحدي أدركت عظمة الخالق وتقدمت كثيراً على درب الإيمان.

تجاوزت مع الدكتور إبراهيم بيومي مذكور أستاذ الفلسفة الإسلامية فاقترح عليّ موضوعاً يتعمق منذ زمن أن يشغل به طالب نجيب كما قال، وهو «فلسفة الجمال في الإسلام».. أعجبتني الموضوع ومضيت أضع يدي على أطرافه قبل طرحه على مجلس الكلية.. وفي تلك الأثناء تقدمت بعدد من القصص القصيرة إلى المجلس الأعلى لرعاية الشباب والثقافة الجماهيرية والجامعة ونادي القصة، ففازت القصص بالمراكز الأولى في معظم المسابقات.

كنت قبل ذلك أعترم - من حبي للفلسفة - أن أجعلها طريقي وأن أجتهد لعل أسهم فيها بنظرية فلسفية عربية تعيد مجد العرب في الماضي، وتتصعق جنباً إلى جنب مع أسماء كبيرة حازت المكانة العالية التي لاتدانيها أي مكانة مهما كانت عظمة بعض ما أنجزه السياسيون في حياة الشعوب، فأرسطو وهيجل وكانت وسارتر وغيرهم أصحاب دور فكري بالغ التأثير، وأيا كان رأي البعض في الفلاسفة، فالدنيا في رأيي المتواضع تتوجه - أرادت أم أبت - إلى حيث تشير أصابعهم.

فازت قصصى في المسابقات وكان قد امتدحها مندور شيخ النقاد، وكذلك اللفظ وأنور المعداوي الذين التقيت بهما في مقهى عبدالله، نشرت أول قصة على نطاق واسع عام ١٩٦٦م وفي العام نفسه نشرت أول مقال عن دريسى خشبة رائد الثقافة المسرحية.. عندئذ استولى على إحساس بان الأدب هو طريقي والقصة

والرواية هما الأنسب والأكثر ملائمة لروحي وفكري.. لذلك أقنعت نفسي بأن أسير على درب القصة ومن خلاله أمارس الفلسفة بقدرما يتيح ذلك الفن القصصي.

تدريجياً وعبر العديد من المواقف واللحظات المصيرية الخاصة بي وبالوطن والناس، أدركت أو أوشكت على الإدراك أنه لا أحد مخير إلا في أقل القليل وأنتى حر فعلاً لكن في إطار العناية الإلهية وبالصدام مع الآخرين.. صدام التوقيت والمصالح والأفكار والأهواء، بل الأحلام والأمال، وفي ضوء المشاعر والأحاسيس المركبة والموروث والظروف.. الآخرون هم قيودي وليس الله.

أنت حر وسط كم هائل من المحيطين بك والمختلفين معك، الوسط الذي تتحرك فيه وتود أن يمضى فيه قدمك بحرية كاملة يحتشد بالآخرين.. وكل فرد يحاول تحقيق وجوده بما يتعارض في أغلب الأحيان مع وجودك وأحلامك، فماذا يتبقى لك من حرية حتى لو لم تتدخل الأقدار وتردك أو تقزمك أو ترفعك أو تحرمك أو تأمرك بحمل حجر سيزيف والصعود به إلى أعلى قمة في الجبل ؟

أمنت بشكل يقترب من اليقين، ولا يقين هناك إلا بالله والموت، أن الله ينقذ أكثر مما يعاقب، يرحم أكثر مما يقيم الحد.. المخلوقات هي التي تقيد بعضها، وتتغير مع الأيام والظروف وسيلة الصعود والخروج عن مسار القطيع.. القوة أحياناً تحقق ذلك، وقد يستطيعه المال، وأحياناً العلم وقد يفيد الذكاء والدهاء، وربما ينفع الأهل أحياناً أو العلاقات والنفاق، ويقلل الكثيرون من فضل القيم في تحقيق الأهداف، لكنها تتميز مثل العلم عن كل وسائل الصعود، بأنها الأقل تكلفة والأكثر قرباً من النفس العزيزة اللوامة الساعية للخير، وبالطبع الأكثر استحقاقاً لرضا الرب الرحيم، ومن ثم فهي الأقرب إلى تحقيق السعادة لمن تعود أن يرضى.. جعلنا الله منهم..

الغريب أنني بعد عشرين عاماً اكتشفت أن نجيب محفوظ كان يعد رسالة ماجستير تحمل العنوان ذاته «فلسفة الجمال في الإسلام» أوائل الثلاثينيات وتوقف لنفس السبب، الميل للادب.



## الرجل

يجرى العمل على قدم وساق فى تصوير مسلسل تليفزيونى من إخراج فايز حجاب فى الإسكندرية.. ذهبت مع فريق العمل، مراقبا ماليا للإنتاج، الوكالة العربية للسينما التى يرأسها أحمد المصرى هى المنتج المنفذ لعدد كبير من المسلسلات والمسهرات التليفزيونية باستخدام أفلام سينما قبل أن يستخدم تليفزيون كاميرات الفيديو، كما كان باستديو مصر استديو الصوت الوحيد فى مصر برئاسة نصرى عبدالنور، ولم يكن باستطاعة أم كلثوم وعبدالوهاب وعبدالحليم وغيرهم من كبار المطربين تسجيل أغنياهم إلا فيه، وكانت المناسبات عديدة للتعرف على هذه الشخصيات الاستثنائية، وكنت قد تعرفت على عبدالوهاب عام ١٩٦٢م عندما وافق على أن يلحن لعبداللطيف التلبانى أغنية من تأليفى، وتعثر المشروع إذ حدث ما يغضب عبدالوهاب من التلبانى.

زارنا أحمد المصرى فى الإسكندرية، واشتكى له المخرج والفنانون منى، فقال:  
- الوكالة لاعلاقة لها بكم، والمدير المسئول عن كل شىء هو فلان.

تمثلت معظم المشكلات فى ابتزاز الشركة بشتى الوسائل.. الممثل يوافق فى البداية على العقد ويصور عدة أيام.. ثم يدعى المرض ويعطل التصوير، وتتكلف الشركة الكثير، ويعترف للمخرج بأنه لن يحضر التصوير إلا بعد تغيير العقد إلى الضعيف، وعند سؤالى أرفض بشدة فيجن المخرج، وقد أمكننى حل هذه المشكلة حلاً جذرياً.

فى اليوم الذى حضر فيه المصرى، انتهى التصوير بالإسكندرية، وكان علينا استكمالها فى مرسى مطروح صباح الغد على أن يكون معنا «كلب عزيز» وهو كلب بوليسى ضخيم وماهر جداً فى اقتفاء الأثر وله خبرة، وكان صاحبه عزيز.. ممثل ثانوى دائم الظهور وأجره فى اليوم عشرة جنيهات وقد اشترك الكلب فى التصوير بالقاهرة بأجرى يومى عشرين جنيهاً، أى أعلى من صاحبه، وفوجئت به يطلب أجراً فى اليوم خمسين جنيهاً.. طلب منى المخرج منحه ما يشاء حتى لا يفسد التصوير.. قلت إننى لن أدفع أكثر من أجره الذى حصل عليه قبل ذلك.. أصر صاحبه فرفضت.. عاد الممثل وكتبه إلى القاهرة.. وصرخ المخرج وراح يشكو للمصرى الذى عاد إلى التاكيد بأنه ضيف، والمدير المسئول فلان.

تحرك الجميع إلى مرسى مطروح، وطلب منى المصرى الركوب معه فى سيارة

الشركة المخصصة له.. الطريق صحراوي مقفر وطويل.. مضينا نتحت كالعادة في كل شيء، تقريبا وكان قد عمل حسابي في الطعام والشراب وخطط لركوبى معه من البداية.

سألنى عن هند وعن موعد الزواج، أجبتُه بأن الموضوع يحتاج إلى وقت ومصروفات كثيرة وكل شيء، بؤان.. أبدي استعداداه للمعاونة أيا كانت.. شكرته وطمانته.

مال بنا بسرعة إلى طريق السياسة، فسألنى عن رأيى فى قبول عبدالناصر مبادرة روجرز.. قلت:

- خطوة ذكية سببت حرجاً لأمريكا التي كانت دامتاً تعتقد أن عبدالناصر «ون تران» وأنه ضدها على طول الخط.

- أنا أيضا معجب بهذه الخطوة وقليل منه ما يعجبني.

- أنت دامتاً غير راض عنه.

- تريد أن أرضى بالخطأ.

- يا أحمد بك لا يصلح..

قاطعنى:

- ثانية واحدة.. هات يا صالح.

فتح السائق ثلاجة كانت إلى جانبه، وأخرج عليتى عصير أخذتهما منه وسرعان ما قال المصرى:

- اتفقنا على أننا جميعا سواء يا صالح.. صح.

قال صالح:

- صح.

مد يده وأخذ علبة عصير وتجرعت عليتى دفعة واحدة وقد جاءت فى موعدها بالضبط.

- أكمل يا فؤاد.

- يا أحمد بك من يود الحكم على شخص فلا بد أن يعرف فلسفته.

- هل هذا الكلام لى؟

- إنه فى المطلق كقاعدة.. ونحن فى مصر حتى كبار المثقفين لانبحت عن الفلسفة لنقارن الفكر بالتطبيق.

- نحن نتحدث يا فؤاد عن أخطاء تاريخية ثقيلة مثل اليمن وإغلاق مضيق تيران، مثل الوحدة مع سوريا مثل الصدام مع أمريكا، وقبل هذا جميعه عم السعى على أى مستوى وبأى وسيلة لتنفيذ المبدأ المهم من مبادئ الثورة وهو

تكوين حياة ديمقراطية سليمة، هل قرأت تروتسكي؟ مشكلته أنه كان لا يريد الثورة في روسيا فقط، لكنه كان يريد ثورة تشمل العالم أجمع وهذا ما يوفر المناخ الملائم للأخطاء.

- هذه أخطاء طبيعية لأول حاكم مصري بعد آلاف السنين وخاصة أنه كان محتشداً لوضع مصر على خريطة العالم المعاصر، وتعويضها بسرعة عما فاتها.

- كان يتعين وضع أولويات، بحيث تأتي كل قضية في موضعها مع التخطيط الجيد لكافة العوامل المؤدية لنجاحها.

- لو فعل ذلك لما أمكنه أن يتجز شيناء.

- وهذا ما حدث بطريقته.

- تأميم القناة والسد العالي والتعليم والصانع وإخراج الإنجليز والمساعدة في تحرير شعوب كثيرة من العالم، والكرامة و....

- لا ينكر هذا كله إلا جاحد، لكن الخسائر في المقابل كثيرة، يكفي فتح اليمين وفتح ١٩٦٧.

- أمريكا وانجلترا كالعادة.

- لماذا أعطاهما الفرصة، ودخل المصيدة؟.

- كان يؤمن بأن حماية تراب مصر تقتضى استقلال الدول العربية جميعاً،

ولن نهنا بحريتنا ولن نبني طوبة إلا ضمن منظومة عربية.

- إذا لم يكن يعلم أن هذا مستحيل فنلك مصيبة.

- ولماذا تعتبر الوحدة خطأ؟.

- أى سلوك لا يقوم على دراسة خطأ وقد يصبح جريمة بقدر الخسائر.

- والهدف الكبير.

- الغاية لاتبرر الوسيلة ولاتبرئها،

- بمعنى.

- مهما كان الهدف عظيماً فلا بد أن تكون الوسيلة أيضاً عظيمة.

- البعض يحاسب عبدالناصر على الخسائر فقط، فهل هذا من الإنصاف؟.

- لست منهم على كل حال.

- أحمد عرابي بكلمة «لا» فقط يحتل مكانة عالية رغم أن الإنجليز احتلوا

مصر بعدها أو بسببها، وعبدالناصر كافح عشرين سنة والبعض يتنكر له بسبب

النكسة، سعد زغلول لم يصنع ثورة، بل صنعها الشعب من أجل إطلاق سراحه،

وعبدالناصر هو الذى صنع الثورة، ومع ذلك تماثل سعد زغلول فى كل مكان.

- حاسب.. حاسب.

تتهددت ثم قلت:

– جيفارا ماذا فعل بالقياس إلى ما فعله عبدالناصر؟

– جيفارا قاد كفاحاً مسلحاً.

– جيفارا حمل بندقية وانطلق في الغابات، ولم يواجه مباشرة مشكلات الملايين، عبدالناصر كان يعمل على مستوى منطقة كاملة من المحيط الأطلنطي إلى الخليج.. كان يسعى لنهضة شاملة، وليس مقاومة محتل.. جيفارا ذهب إلى الكونغو في أفريقيا وترك بلاده، وقارته كلها.

– لأنه رمز.

– نحن لانعرف كيف نقرأ التاريخ ونقيم التجارب.. نحن بالعاطفة نحكم وبها نتعامل.

– الحكم على عبدالناصر ليس الآن ولكن بعد اكتمال مشروعه.. إذا كان هناك مشروع.

– مشروع عبدالناصر واضح ويحتاج ضبط ومساندة، وتظل أمانيه للشعب رائعة.

– أكثر من رائعة يا فؤاد.. ولكن هناك سبيل.. أولاً.. ليس وحده الذي يحقق هذا، ثانياً لابد من التعمق في دراسة الظروف لأنك لاتبنى في الفراغ أو في الصحراء أو وسط الاحباب والأصدقاء، من قال إن الحكام العرب جميعهم كانوا يحملون له الود، أو يحملون ودا لأي رئيس آخر صاحب رؤية مجددة وجريئة.

– صحيح.. لقد كان الأعداء في كل مكان وتحت كل منضدة.

– لاتتصور أن أحداً يرفض أحلام ناصر، إنها أمل كل مواطن عربي عبر

قرون، لكن كيف يتسنى هذا؟.. هل نعلم أن ٦٧ تأخرت كثيراً، فقد كانت أمريكا منذ ١٩٥٧ تغلى غضباً منه، حتى في عام ١٩٥٦، كانت تود أن تشارك في العدوان على مصر، لكنها فضلت أن لاتسمح لانجلترا وفرنسا بمشاركتها في الولاية، ومضى ناصر يبني، ويصعد وأمريكا تستعد لابتلاع الشرق الأوسط منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية.

– أنا أنظر إلى عبدالناصر بوصفه صفحة مهمة جداً من التاريخ المصري والعالمى حرك فيها الماء الراكد، وأيقظ الناس.. إن كل ما جرى من تقدم – في اعتقادي – على طول البلاد العربية وعرضها نتيجة حتمية للحركة الناصرية، إما استجابة لها أو خوفاً منها، سواء التعليم أو السعي لتحقيق العدل الاجتماعي العمران.. التوجه إلى التصنيع، وسوف يتعاطم كل ذلك.. عبدالناصر كان وظيفته أكثر من اللازم، وخانفاً على الوطن العربي أكثر من اللازم ومتعجلاً النتائج.

- عظيم ولكن.

فاسعته بجرأة لم يعدها:

- أرى أن السبب المفصلي أو المحوري الذي أفضى إلى الكثير من السلبيات هو غياب الديمقراطية.

- بالطبع، لأنها تصحيح ونشرك الآخرين في كل الأمور، والآراء المتعددة ترشد الحكم والقرار.

- ومع ذلك أرى أن الحلم الناصري الكبير كان مطلوباً كي لانقبل الأجيال القادمة أقل منه.

- الصهاينة على القناة وعلى خمس أرض مصر ويستطيعون بلوغ أى بقعة فيها فى غضون ساعة.

ألقى على دلو من الماء البارد.. إنها الحقيقة.. قلت فى شرود وألم:

- لن يطول هذا الوقت.

- بل سيطول.. أنا أعرف لعبهم، ولجرد بناء حائط الصواريخ، قدموا مبادرة

ورجرز، عندما يجتمع الصهاينة مع الأمريكان، فلا تتفائل أبداً، وهذا الثنائى سيمزق العالم أجمع وليس الشرق الأوسط فقط.

- بل إنى متفائل، لأن الجيش لا ينام الليل، والجنود يتدربون، ويعبرون ويقتلون ويأسرون.. حالة مختلفة تماماً عن ذى قبل.. دخلنا فى الجد.

- الحرب الشاملة بين الدول أكبر بكثير من حرب العصابات.. ومائة جندي يعبرون كل ليلة لن يحرروا سينا..

- بل سيححررونها، لأن ما حدث فى ٦٧ لا يمكن أن يتكرر ويكفى أن قواد الجيش الآن غير من سبق.

توجه بحديثه إلى السائق:

- هل نسينا يا صالح؟

- معقول يا أفندم؟

- نزل نور شاي، كى يحلو الكلام.

التقت إلى وقال

- فكرت أن أكلمك فى موضوع عدة مرات ولم تتح الفرصة.

- تفضل.

- لازم تتطل رومانسية، منذ عرفتك وأنت كما أنت.. الحياة تتعقد وكل شىء

ينضج، وأنت ما زلت بقيمك الأولى.

- القيم ليست رومانسية.

- حسن ظنك بكل الناس.. أليس رومانسية؟

- ليس في كل الأحوال.

- بل ألاحظ إنه في كل الأحوال.. هل تتصور أن هذا عيبك الوحيد؟

تمهلت قليلاً ثم قلت: - الممثل صاحب الكلب مثلاً الذي يريد أن يحصل على أجر خمسين جنيهاً في الليلة بدلاً من عشرين، أليس محاولة كبحه عن الطمع واقعية؟

- هذه شطارة محاسب وليست واقعية، بالعكس إنها رومانسية لقربها من المثالية.

- الرومانسية من أهدافها محاولة تغيير الواقع والسعي لتحقيق ما يجب أن يكون.

- الواقعية لها نفس الهدف ولكن في إطار الظروف المتاحة، لذلك تتحطم في الغالب أحلام الرومانسي.

- لكنها مطلوبة لكي يسعى إليها الواقعي، فما أجمل أن يتزوج الواقعي الرومانسية!

ضحك طويلاً ثم قال:

- طبعي أن تحب عبدالناصر فأنت مثله.

رشفت رشقة من كوب الشاي وقلت له:

- اكتشفت من كلامنا الآن فقط أنني رومانسي تزوجت واقعية.

قال بثقة:

- لا تتعجل الحكم.

تحول إلى الصحراء، يحدق فيها طويلاً وكنتي غير موجود.. تذكرت إنه عبر ، في مناسبة سابقة . عن عدم رضاه عن زواجي من هند.. صرفت الخاطر بحدة.. وشاركته تأمل الصحراء من جهتي بينما القمر المتألق حولها إلى نهار حالم مشوب بزرقه ناعمة.

ساد صمت لحظات ثم قلت:

- أحياناً أتصور أن هناك ارتباطاً بين الرومانسية والكرامة.

شرد وأحس بغرابة الربط، وأخيراً قال:

- لا أتصور هذا.. فليس كل رومانسي معتد بنفسه.

- اسمع لي أن أوضح بصورة أخرى أو بسؤال.

- تفضل.

- هل الرومانسي يمكن أن يكون نفعياً؟

- في العادة.. لا.

- عظيم.. فهل النفعي يمكن أن يكون ذا كرامة؟

شرد ثم قال:

- في العادة.. لا.

- عظيم.. إذن طبقاً لقياس أرسطو.. الرومانسي في العادة ذو كرامة.

- أشك في هذا القياس.

ابتسمت منتصراً

- أظن أنك لا تشك ولكنك بحاجة إلى فرصة للتفكير.

- أنت تريد أن تؤكد أن كرامة عبدالناصر، وحساسيته وراء أفكاره.

- بالضبط..

قال: لا يجب أن يتحمل الشعب نتائج صفاته الشخصية.

قلت: قدرنا.

قال: الديمقراطية تغيره.

شردت لحظة وقلت له:

- هل لازلت ناقما عليه لأنه سجنك؟

ابتسم متصوراً أنني أهاجمه.. وقال:

- كنت أود حماية اللحم، وقد فاته ذلك، كان مشغولاً بالسما، ونسى الأرض.

: علاقة لسجني برأبي في أدائه وقراراته، ومعظم من سجنهم رجاله غير ناقمين

به.. لأنهم وطنيون، والوطني الحق يحب قريبه ولو أخطأ.. الوطني الحق يختلف

ديكره.

- كان يود أن يهبط بالأحلام لتكون في متناول الناس.

- ليس من السهل زراعة أي محصول في أي أرض.

- فهل أنت ممن يرون بعد أن حدثت كارثة ١٩٦٧ أن كل شيء وهم وخدعة.

- مستحيل.. هذا جهد شعب وإنجاز أمة حتى لو كان في الأغلب نتاج تفكيره

عده، ولكن ما حدث في ١٩٦٧ نتيجة عدة أخطاء مركبة، سببها الأول إبقاؤه على

بد الحكيم.

- أظن أنه شاخ.

- هو السبب.

- والأعداء..

- كان له دور كبير في صنعهم.

- إنها النفوس المريضة.

- دعك الآن من السياسة، وقل لي دون أية حساسية.. كم امرأة تمت معها؟

كنت أرتشف الشاي. فسأل من فمى الذى فتحته فى دهشة، وتحولت إليه  
أحدق.. لا أدري ماذا أقول.

حاولت أن أرتب كلامى وأزوقه وكان علىّ أولاً أن أشغله عنى بأى فكرة.  
فجأة ارتفعت السيارة وانخفضت بشدة كأنها تسقط فى بئر، فانتفضنا رعباً  
ثم مالت بقوة.. طار كوب الشاي البلاستيك من يدي ويده .. صرخت وأنا أتشبث  
بالمقبض والكرسى الأمامي:  
- استر يارب.. استر يارب.

انقلبت السيارة وارتطمت رؤوسنا بالسقف، ثم اعتدلت وأصابني ما يشبه  
الإغماء، وعادت تنقلب ثم اعتدلت وانكفأنا على الكنية الأمامية.. صالح الوحيد  
المنتبه فيده كانت قطعة من المقود، أطفأ المحرك، خرج بسرعة وفتح الأبواب، وقف  
يتأمل الوضع والأرض بحثاً عن الأسباب..

حمدنا الله على الحالة الطيبة التي وجدنا أنفسنا عليها، كدمات بسيطة  
أصابتنا، الصدمة الجسدية والنفسية كانت نتيجة طبيعية.. خرجنا ولفحنا الهواء،  
القوى الصافي.. الظلام دامس.. كان منبئياً على نزولنا إلى مياه البحر المتوسط  
متر واحد.

قال صالح:

- قلبتنا عجلات كوتش قديمة تركها أصحابها.

لم أرد أن أعترف لأحمد المصرى بأننى لمحت صالح بنام وكان آخر مرة رأيته  
يخطف الإغفابات قبل أن يقول له المصرى:  
- أنت نسيقتنا.

أدركت عندئذ أن المصرى ثمر وقد لمحه، ولذلك لم أدهش عندما قال:

- تعال يا فؤاد نتمشى قليلاً فى هذا الجو الرائع حتى يطمئن صالح على  
السيارة.

قال صالح بحماس:

- كله تمام يا فندم.

ضحكنا معاً وقلنا. حتى أنت يا صالح تقول نفس العبارة الكارثة.

كانت عجلات الكاوتش على الرمال بعيدة عن الأسفلت بنحو مترين، إذن فقد  
نام ثم زحف عليها، وبعدها كانت الحفرة بعمق متر فى أربعة أمتار عرض، أى أن  
الله ستر وستر.

لو لم تنقلب السيارة كان ضروريا أن تجيب على سؤال المصرى، فماذا كان  
جوابك؟.

أثقت أنك كنت ستتعلل بأى شئ آخر كي تهرب من المواجهة.. هل يسيء إليك إذا حدثت عن بانعة الفجل التي حلت في عينيك وطلبت إليها أن تصحبك إلى الشقة، في مقابل ثمن «مشنة» الفجل كلها؟، وصعدت معك بعد تمنع عدة أيام، وطلبت منها أن تخلع ملابسها فخلعت ثم سحبتها إلى الحمام ومضيت لنحو الساعة تدعك في جسمها بالصابون المعطر والماء الساخن وألبستها ببيجامتك على اللحم، واستهواك جسمها واستنفرك.. لكنك في آخر لحظة وبعد أن تعمرت تحت الملاء وتمددت وشرع دفنها يغزوك.. أمرتها هامسا أن ترتدى ملابسها وتذهب ومنحتها أكثر من ثمن «المشنة».

هل كنت ستحكي له قصة تلك الفتاة التي وقعت في غرامك بعد أن أنقذتها من مجموعة من الشباب فوجئت بهم في بيتك، دعاهم مخلص شريكك في الشقة معتمداً على وجودك في بنها، تلك الشقة المطلة على النيل بجوار مستشفى الرمد في الجيزة، وفي مواجهة سينما شهرزاد..

يومها ثرت بشكل مباغت في وجه مخلص حتى لقد فزع من هياجك.. طردتهم جميعا.. وقلت لمخلص ألا يعود مطلقا وسوف ترسل له عفشه القليل على أى مكان يحدده، ولاتطأ قدمه المكان مرة أخرى.. ثم ماذا حدث؟.

جاءتك الفتاة بعد منتصف الليل وكنت تقرأ في البلكونة وطلبت أن تبيت لديك فليس لها بيت.. وعرضت نفسها عليك وألحت وأنت تقاوم.. لا رفضا لها ولكن حتى لاتحس إنها تعطيك مقابل إنقاذك لها ولم يكن إنقاذا بالمعنى الدقيق.. كانت البنت صغيرة، ولم تكن عذراء.. واصلت محاولاتها حتى أنها قبلت يدك.. أو حاولت فيما أذكر.. وأخيراً تجاوبت معها حتى توقف ضعفها وخضوعها..

هل كان يمكن أن تقول للمصري إنها ظلت لك وحدك نحو عام وشهور.. وأقسمت ألا يلمسها أحد غيرك حتى اختفت وأنت فى أمس الحاجة إليها لتنتقل إلى جسدها بعض غضبك الذى بدأ ينهمر؟ وهل كان يمكن أن تبرر له سلوكك وأنت مرتبب بزوجة؟..

هل كان يمكن أن تحكى له حكاية الفتاة التى رأتها معك صاحبة البيت بوشاية من البواب فطردتك؟..

هل كان يمكن أن تذكر له شيئا عن الفتاة التى باتت معك الليل وأذهلتك جنسياً ثم سرقت كل....

- يكفى أيتها الشريرة.. الوقت غير مناسب وروحى منك فى مناخيرى.. أف.. كيف أتخلص منك؟.

لن أستطيع أن أدعو خالك.



## مرسى مطروح

وصلنا مطروح فى نحو الثالثة صباحاً.. سعدنا إلى الغرف وأخذت حماماً تاريخياً، كان لابد منه ليغسل أشياء كثيرة.

ما أن جففت جسمى حتى تذكرت المشكلة التى تواجهنى من الآن وهى توفير كلب بوليسى مدرب بدلاً من كلب عزيز المتمرّد.. كان الموقف حرجاً للغاية، كيف يتسنى لى الحصول على كلب فى هذه الصحراء.. مضيت إلى الشرفة، جلست ثم نهضت.. جلست ثم رحت أزرع الشرفة المظلة على بحر يقبع فى الظلام كجثة هائلة، بحثت عن القمر حتى وجدته مخدوقاً وراء كتلة معتمة من الغمام.

أنوار شاحبة تظهر من هنا وهناك، لا تبدو بادرة أمل.. التصوير سيبدأ فى العاشرة، يبدو أن عنادى سيتحطم على صخرة الموقف المتأزم.. لا أريد أن أندم بسبب التزامى ومواجهتى للابتزاز والاستغلال.

فكرت أن ألتجأ إلى المحافظ أو مديرية الأمن لمساعدتى فى حل المشكلة التى أنور فيها مثل فأر فى مصيدة.. وحدى المسئول عن الأزمة.. وحدى المسئول عن حلها.. السينما لا ترحم وكذلك التلفزيون، تكلفه اليوم الواحد الذى سوف يتعطل بسبب كلب عدة آلاف من الجنيهات.. فى ذلك الزمن.

أسير فى الشرفة، تسافر نظراتى مع البحر الأبيض الذى كان فى هذا الوقت أسود.. تظهر فى نهاية الأفق أضواء، كأنها شكات دبابيس تتقّب الجدار الهائل للظلمة.

فى الرابعة والنصف ليست ونزلت إلى المسجد فصليت الفجر ودعوت الله أن ينصرنى ويحميتى من المتربصين.. عدت إلى الشرفة بعد أن حملت كوبا من الشاي بنفسى، فقد كان عمال الكافيتريا ينظفونها.. كانوا قد أعدوا الشاي لأنفسهم، فآكرمنى أحدهم بكوب.. أخذت أشربه باستمتاع إذ انقضى على آخر كوب نحو أربع ساعات، وكان قبل الحادث مباشرة.

ها هو النور الرمادى يتسلل بصعوبة إلى الكون.. الحياة تتمطى فى كسل.. لم يظهر مخلوق بعد.. ليس إلا حركة بعض المصلين العائدين، البحر يكشف عن

موجاته البعيدة العالية، والتي تتقلب بعضها فوق بعض كاشفة عن أعماقها البيضاء الرغوية.. هياكل السفن العملاقة تظهر عن بعد كأنها لا تتحرك.. وجوهها جميعاً تضي نحو الشرق حيث الاسكندرية.. ليس من المقبول أن أكون في مطروح ولا يتنوق جسدى مياهها الزرقاء الصافية.

ألقيت ببقايا الشاي فى حلقى والكوب فى السلة، خلعت ملابسى جميعاً، ارتديت المايوه، وأسرعت إلى المياه التى مشيت على شاطئها بحذر عدة خطوات لتكيف مع برودتها.. قذفت جسدى وضربت الماء سابحاً نحو خمسين متراً فى العمق، ومثلها عرضاً ومضيت أغوص وأطفو، أغوص طويلاً وأسبح تحت الماء ثم أطفو، إلى أن عادت تهاجمنى مشكلة الكلب.

سأعانى نون شك من البيروقراطية إذا لجأت إلى المحافظة أو مديرية الأمن، ولا سبيل غيرهما.. تنهدت باستياء.. الساعات تمر والمواجهة قاسية والموقف بكافة تفاصيله سيكون محتدماً تحت سمع وبصر المدير الذى تعود أن يتحدث عنى بثقة وبأننى اكتشفاه الذى يعتز به، فكم اعتمد على فى الملمات، وحالفنى التوفيق بفضل الله وبفضل الإدارة التى تعلمتها منه.

عدت أسبح كأنى أهرب.. نعمة تدفن رأسها وجسدها كله فى الرمال، كلما غطست وبقيت تحت الماء طويلاً وطفوت، تمنيت ألا يكون الصباح قد أطل، ونظلمة طويلاً فيما بين الفجر والصباح.. فى المنطقة الرمادية حيث يثقل النوم ويتشبث بفرائسه.. ولاتكون عجلة الحياة قد دارت بعد أو حتى تاهبت لذلك إلا فى حالات نادرة.

لم أستطع أن أكلّم هنداً طوال الأسبوع الماضى، سوف أكلّمها إذا انحلت مشكلة الكلب.. لكم طرأت مثل تلك المشكلات دونما سابق استعداد.. يظهر أمامى فجأة محصل القطار الذى لا أدرى كيف فتح على نورة المياه مع أنى أغلقت بابها بالترباس من الداخل، كنت قد اشتريت بمصروفى كله كتباً.. لقد دفع الرجل الباب عدة مرات، فإذا التراباس الفاشل يتداعى مع الزلزلة التى تعرض لها على يد الرجل الفحل.. وقف بالباب ورأنى لا أفعل شيئاً إلا انتظار مروره، سألنى عن التذكرة.. كعادتى قررت الاعتراف:

– لم أقطع تذكرة.

– أقطع لك.. هات سبعة قروش ونصف.

– لا أحمل مليماً واحداً.

– إذن أسلمك فى محطة طوخ ويرافكك العسكرى إلى مباحث السكة الحديد،

ومنها إلى النيابة فالسجن.

- هل تريد الحق أم أبين عمه؟.

- أريدهما معا.

- اشتريت بكل ما معي كتباً.

فتح المحصل الضخم إلى أقصاهما عينية ورمقني بشراسة وتهديد ثم مد يده التي مضت تتجه نحوي كالمدفع ووضعها على رقبتى والتفت أصابعه حول عنقي، خشيت أن يضغط عليها فأموت خنقا مقابل التذكرة، ونسيت أن هذا لا يحدث أبداً، ونسيت أن هذا ليس من حقه ولا من واجبه، ومع ذلك ركبني الرعب من هذا الكائن كثر الشارب طويل الأنف، سميك النظارة... واسع الفم... كبير الأسنان.. شعر صدره يطل بوحشية من فتحة البدة الكاكي.

فجأة وبعد أن قاربت على الوفاة، ضحك عالياً، وجرني قائلاً:

- مادمت اشتريت كتباً فهيا اختر أحسن كرسي فاجلس عليه.

مضى يقهقه، وأنا لازلت أرتعد ومؤكد كان وجهي أشد اصفراراً من الكركم. عندئذ.. أى عندما تحرك المحصل عابراً المر الصغير المختنق المحاط بالجلد الأسود ويربط بين العربيتين ماشياً فوق الدواستين الحديد وأنا أرقبه حتى لا يعود، لمحت كلباً يشبه كلب عزيز.. مستحيل.. إنه هو.. على بطنه بقع بنية غامقة وجسده بني فاتح.. يقفز ويلف ويدور حول صاحبه.

قفزت فرحاً وأسرعت إلى الشاطيء، لمحني الرجل أتجه نحوه باندفاع، لا أحد غيري في الماء.. بدت الدهشة على وجهه، وتوقف وقرّب الكلب منه.. وقفت أمامه أتصيب ماء وحياء.. تتعثر الكلمات على لساني.. الرجل في نحو الستين، في مثل طولي، لكنه يبدو قوياً ومهنداً، وله وجه طفل برغم الشارب الأبيض.. فهم أخيراً وابتسم، كان يحسبني أداعبه أو أتسلى ثم هز رأسه موافقاً وهو يمسح على رأس نورمان.

مضيت أنظر إلى نورمان.. لا يمكن أن يكون نورمان، إنه لاشك ركس كلب عزيز.. قلت له إن أى مبلغ يطلبه سندفعه، قال: لا يمكن قبول أى مليم.. المهم أن تطعموه جيداً.. قلت له وأنا في غاية الانشراح:

- سنطعمه لحم غزلان وديوك رومية ونعام وفاكهة، كريس إذا أراد.. سنزوجه و.... ضحك الرجل وهو يقول:

- لا.. لا شيء من هذا.. المهم أن يقوم بالواجب، ويكون عند حسن ظنكم.

خطر ببالي بسرعة ثور جارنا الذي كان بالقرية يضاجع البقر لتحمل، وكان

صاحبه يقول إذا سألوه عن الأخبار .. لقد قام بالواجب.  
سألته عن قدراته ومواهبه ومدى إمكانية توجيهه أثناء التصوير.. قال  
- أحييت إلى التقاعد وأنا عميد بالشرطة وكان نورمان معى فى الخدمة.  
وفوجئت بهم يقررون إحالته إلى الاستبداع، طلبت أن يرافقتنى إلى بيتى لأنى  
أحبه.. هو ولدى بحق، أنا وزوجتى نعتبره ولدنا فلم نتجب.  
كانت تلك اللحظة من أجمل لحظات حياتى.. لحظة مثل شجرة باسقة كثيفة  
الأغصان، عامرة بالثمر، غزيرة الورق، تفرش الظلال فى الصحراء، لحظة رائعة  
ونادرة، لحظة ملهمة، تحمل رسائل كثيرة، وتشرق على صاحبها والعالم وتنشر  
رايات البهجة، لحظة ميلاد عمر جديد وصغير، لحظة عبور نفق مظلم تتعرض فيه  
الروح لأختبار يمس الكرامة والمصير.  
ذهبنا فى العاشرة إلى التصوير، لم يحضر العميد بعد، طلع على المخرج  
قائلاً:

- كيف الحال.. أين عزيز وأين الكلب؟
- دقائق ويكون هنا.
- هل اتصلت به؟
- قلت بانكسار: لم يكن هناك مفر.
- قال منتصراً: وستدفع له ما يطلبه.
- لا حيلة.
- حضر العميد فى هذه اللحظة والكلب معه.
- قال المخرج:
- أين عزيز؟
- يضع حقيبته فى الفندق.
- نظر إلى الكلب، فسألته:
- ... هل أنت راض يا فايز بك؟
- كيف لا أرضى.. المهم أن نتعلم، لازالت تنقصك خبرة.
- ثم التصوير بالكامل، وعلى خير وجه.. سأل فايز عن عزيز، قلت له أمام  
الجميع وبينهم أحمد المصرى:
- إننى لا أخضع للإبتزاز، ولا أسمع بالاستغلال سواء من البشر أو الكلاب.
- قدمت لهم العميد.. فصفق الجميع.. إلا فايز طبعاً ولا أعرف لماذا ولن  
صفقوا؟.

## الموت فى أبشع تجلياته

انفجرت الأرض وانطلق منها كائن عملاق يرتدى السواد الكامل وتحيط به هالة معتممة بعرض الامتدادات التى يمكن أن يبلغها البصر والبصيرة والإحساس.. يمسك بيده حربة، صعد إلى أعلى نقطة فى قلب السماء ثم هبط مندفعاً معبأ بكل مافى العالم من غيظ واحتشاد مقيت، ثم أطلق حربته بأقصى مايملك من قوة وقد صوبها إلى أشرف الرجال وأكثرهم وطنية.

دعانى إيهاب الليثى لحضور افتتاح فيلم «الأشرار» فى سينما ريقولى فذهبت أنا ووالدى وزميلي محمد الحناوى وزوجته وكان إلى جوارنا فى الصف الأول من شرفة البلكون حسام الدين مصطفى المخرج وأبطال الفيلم عادل أدهم وإبراهيم خان وناهد شريف ولم يحضر رشدى أباطة.

اعترضت أمى على الفيلم منذ البداية، قالت: كله نكد وقتل..

كانت تظنه فيلما رومانسيا كتلك الأفلام التى أحببتها فى الأربعينيات والخمسينيات حتى سنوات قليلة مضت.

قلت لها: أنا متأكد أنه سيعجبك.. علينا أن نتابع ونصبر حتى النهاية.

كان الفيلم بلا أى طعم، التشويق فيه ساذج، وتقليدى، فجأة أضيفت السينما بالكامل، والفيلم لايزال على الشاشة باهت الملامح، ظهر من يصرخون فى الناس بكلمات غير مفهومة حتى فهمنا فى النهاية، فتعالى الصراخ، وتدافع الناس هابطين وخارجين.. بعض المشاهدين يسقط مغشياً عليهم والبعض يتعثر فيهم فيسقطون.. الناس يتساندون.. البعض لم يستطع القيام.. رواد الصالة كانوا

الأسرع فى الخروج.. تراحموا عند الأبواب.. اضطراب فى اضطراب.. خبطت  
أمى صدرها وهى تقول: حبيبي يا خويا.

وقفت مذهولا، وعندما هزنى محمد الحناوى لنتحرك لم أشعر بأقدامى.. أخيرا  
تحركت.. ثم سألت دموع أمى وبدأنا نزحف كالسكارى، كنت أتخيل دخانا يملأ  
القاعة.. لا نستطيع التنفس.. عادل أدهم لايزال على الشاشة التى نسيها فنى  
العرض، يقول لرشدى أباطة - لو مت ح أقتلك.

لعله - فيما أذكر - كان يهدده حتى يدلّه على مكان ثروة مدفونة فى مقابر  
العلمين، وكان رشدى مصاباً.

لما خرجنا إلى الشارع، كان المشهد عجيبياً.. بعض الفتيات يسقطن فجأة،  
السيدات تلطم خدودها.. الرجال يكونون ويتلفتون كأن عصابة تطاردهم.. أشياء  
تهددهم.. بعض سائقى التاكسى ركنوا السيارات وتوقفوا عن قبول ركاب كأنهم  
سينظمون مظاهرة ضد الموت.. الصراخ يتعالى فى كل مكان.. الشباب يركضون  
يريدون أن يعودوا بسرعة إلى بيوتهم قبل حدوث هجوم غامض كسقوط نجم أو  
شهاب أو تنشق الأرض، أو تتفكك العمارات وتنهار.. هناك خلل ما أصاب كل  
شئ، يصعب تحديده، تذكرت أنه نفس يوم انهيار الوحدة بين مصر وسوريا.

ظلت أمى تنادى أخاها: يا حبيبي ياخويا.. موتوك يا حبيبي.

كانت تحب عبدالناصر حبا لاتحبه لأبيها وأمها.. كانت تستمع إلى كلماته  
بتركيز شديد، وإذا تكلم أحد فى غير موضوع الخطاب، تنظر إليه شذرا فى  
البداية وإذا استمر تقول له: قم من هنا.

جاءت تزورنى فى القاهرة وتعالج أسنانها.. فرحت إذا اطمانت عليها واخفت  
الآلام بعد عام كامل من المشكلات التى ينتج معظمها من حفر عشوانى مارسه

في ليلة ٢٨ سبتمبر وبعد عودتنا من السينما يطاردنا الخبر المشنوم.. عادت أسنانها أسوأ مما كانت عليه، أصر الحناوى أن نذهب إلى بيته فلم ينم منا أحد، اتصلت بأحمد المصرى.. لم يستطع أن يرد، قالت زوجته: إنه لا يكلم أحدا.. اتصلت بعدد كبير من الذين كانوا يعارضون عبدالناصر فى كل شيء.. كان أكثر لجميع غضباً منه وكراهية له يبكى ويقول باستمرار: لا يارب.. لا يارب.. مصر يارب..مصر..

عندما عدنا إلى البيت فى الثالثة صباحاً مشياً على الأقدام، كانت الشوارع مزدحمة بالمشاة والمتجمعين على النواصي، يضربون الأكف بالأكف.. ووجدنا واب العمارة العجوز تسيل دموعه على لحيته البيضاء، وقد خلع طاقيته كأنما احتجاجاً.. يقول: أبونا مات.. تيتمننا.. ده أبويا يا ناس.. أبونا كلنا.. لم أر فى حياتى أحزن منه.. أحزن من أمى.. خلاص يا كل الفقراء.. روحوا موتوا.. الليلة ليلة الإسراء والمعراج.. ٢٧ رجب.. سعد الشريف.. أبكانا الرجل.. أبكانا.. لم أكن قد تنبته إلى ما أشار إليه، أدمانا بكاء.. أدمانا بكاء.

جلسنا فى الشرفة نرفض أن نحقق بين الجدران.. أمى تبكى، وجدت نفسها فى بيتها فاطلقت لدموعها العنان.. ترى الناس ثقف فى الشوارع.. الناس كلها لا تريد أن تختفى تحت الأسقف.. تريد أن تكون تحت عين السماء.. لا تعترض ولكن ليرى الله حالها، فقد يعود فى قراره.

فى اليوم التالى اتصلت بالمصرى، وعلمت منه أن يوسف شاهين سيصور الجنازة من الطائرة الهليكوبتر، فقلت له: تصرف.. لا بد أن أكون معه.

شهدت من السماء حفل الوداع الأسطورى.. بحر من البشر، يحملون الصور

ويرتوتون السواد، ويدرفون الدموع ويلطمون ويموبون ويطلبون السماح والرحمة،  
أيها الحبيب الغالي.. تسلم البطن التي ولدتك.. الله ياتزار عليك وأنت نقول في  
عبارة ملهمة قتلوك يا آخر الانبياء.. الله عليك يا طلعة الرفاعي شاعرة سوريا: قل  
وزن الأرض بعد موتك بأجمال.. مسكينة يامصر.. مساكين يا كل من تقسون  
ناصر.. يا ألف خسارة على من يخفل بأيديهم الميزان فيخلعون عنه أردية  
الإخلاص والفروسية والشرف، وينظرون إلى أخطائه على أنها جبل، وحسناته  
مجرد أوراق طيرتها الرياح.. نابليون انتصر كثيراً وهزم أكثر ومع ذلك يقدره  
الفرنسيون حتى اليوم.. الحساب هناك غيرد هنا.

## اختطاف

مع نهاية عام ١٩٧٨ كانت أسباب الاختناق شبه كاملة حتى أنى حاولت اللجوء للتدخين ، لكنى فشلت .. ارتدت الكازينوهات وعلب الليل وشربت نون إقبال ، لكن ذلك كله لم يستطع اجتذابي ، وكان يسيراً حتى وقت قريب أن أجد بعض المتعة مع بنات جميلات وعذارى من الكومبارس . بعضهن بنات أسر كبيرة أخفين أسماءهن وارتضين التضحية بكل نفيس من أجل السينما .

ضقت تماماً بالأوضاع السياسية بعد الرحيل المفاجيء الذى كان هدية لأمريكا والصهيونية العالمية وبعض العرب فتنفسوا الصعداء . تمثليات كثيرة يعلن عنها النظام الجديد وتصريحات عاجزة ومضطربة ، كل الأمور تضى بلا رؤية واضحة ، عين فى الجنة وعين فى النار .. المناخ على كافة الأصعدة ضباب فى ضباب . شاركت فى عدة مظاهرات ضد حالة السلم واللاحرب ، فى إحد المظاهرات كانت معى هند وطاردتنا الشرطة والقنابل المسيلة للدموع .

أصدرت الحكومة توجيهاتها بعدم قيام القطاع العام بإنتاج أية أفلام ، فالسينما مسنولية القطاع الخاص .. هكذا أصبح تقريباً كل موظفى هيئة السينما بكافة قطاعاتها بلا عمل . الاستيديوهات تؤجر لمن يريد ويدفع الثمن . لم يتبق بكل منا إلا مرتبه وهو - فى مثل حالتى - لا يصل إلى ثلاثين جنيهاً . كنت أحصل ما يقارب عشرة أضعافه بين أجر إضافى وبدل ساعات راحة وحوافز ومكافآت على الإنتاج .. اضطررت لبيع السيارة الخنفساء العجوز .. توقف العمل مع الأفلام والفنانين والسهر والسفر والمرح وجو الفن البديع . تحولت كل مراتع الفن إلى صحراوات يعيش فيها القحط ، وجفت الينابيع وذبلت الزهور .. تسلل تدريجياً طعم الملح إلى آلاف الأفواه . توقفت كل المجالات .. الشعر . المجلة . الكاتب . الفكر المعاصر . القصة وغيرها .. تقلص النشر فى هيئة الكتاب .. مللت بل شعرت بالتقرز أحيانا

من المنتديات الأدبية فقد زادت فجة موجة الشتائم والهجوم المجانى . شعراء وقصاصون أحب إبداعهم جدا ، لكنهم يلوثون الجلسات بالسب المتواصل ، هذا الوزير هلاس ، وتلك الرواية كتبتها عاهرة ، وهذه القصة سرقتها الكاتب ابن الوسخة فلان من الكاتب النتن إعلان .. الكاتب الذى يعتبره الكل من أهم كتاب مصر لم يكتب حرفا مما نشر باسمه .. بل يكتب له فلان ابن .. ورضى بأن تنشر باسم الآخر مقابل أن يعاشره .. الكاتبة «س» كان مقبوضا عليها فى قضية دعارة وبعد أن خرجت ادعت أنها كانت معتقلة بسبب أراعىا .. كيف نكذبها نون الرجوع لمباحث أمن الدولة ؟ وهل يستطيع أحد سؤال أسياى البلد .

أذهب إلى مقهى يتجمع فيه عدد من الكتاب نقضى وقتا طيبا فى حوار صاف وجميل حتى يظهر من يعكر الصفو ، أنا لم يمسنى شيء من القذائف إلا فى النادر مثل من قال : إنه مؤدب بطريقة وسخة .. أو من قال : لا أعترف بأى حرف يكتبه . إنه لا يشرب ولا يدخن .. هذه المباريات للقذعة بين الأدباء التى يتم خلالها ابتكار عبارات السب بلا رحمة تجعلنى أشعر أحيانا أن سكاكين حادة تمزق أضلعى ، فضلا عن أنى غير متصور أن يلفظ أديب أى كلمة نابية . تبلغ المساة حدها حين أذكر ذلك لبعض الأصدقاء المحترمين ، فيقول بمنتهى البساطة :

- العيب فىك .. ما يجرى أمر طبيعى وظاهرة صحية .. أنا شخصا أتى إلى هنا لأسمع الأكاذيب والتدنى .  
ويقول آخر :

- اطمئن .. الكل أحياب ، ويغادرون آخر الليل نون ضغائن .  
أعجبنى فيلم «الأرض» ليوסף شاهين ، لكنه عمق بئر الأسى والغربة .. السينما العالمية تنقذنى .. لم أعد متحمسا للقائه هند ، لكنى ألتقى بها لأننى فارغ . أعانى من الخواء .. هناك رمال متحركة داخل روحى ، أقت بها الرياح يوما فى أعماقى .. لا طعم لشيء حتى أذ الأكلات .. لست مشتاقا للأهل فى بنها .. يدهشون لصمتى . أيام سقيمة للغاية ، تلك التى تلت ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، ليس لفرانق عبدالناصر فقط ، ولكن للترامن الملعون بين كل أسباب التعاسة والإحباط .. وكم كان غريبا أن تغيب عنى جماليات الموسيقى الفاتنة لبيتهوفن وموزارت ودى بوسى وهاندل .. لا أستطيع

تحملها لدقائق .

أم هند تواصل استنزافى .. المال والوقت والجهد لحساب أولادها .. أسألها عن الأثاث ، لم ينته بعد .. أخيراً سألت النجار ، قال : لم تدفع الحاجة إلا القليل .. أسألها عن مصير ما أخذته منى .. تجيب بغموض إجابات لها رائحة كريهة ، وعندما أحاصرها تتور وتدعى المرض . قلبها سيتوقف . يسرع الجميع لإنقاذها وأنا قبلهم.

فى يوم عرضت على هند أن أعطى دروساً لابنة زميلتها .. فى الثانوية وتحتاج إلى تقوية فى اللغة الإنجليزية .. كانت الأسرة موسرة جداً .. فوجئت بجمال البنات ودلعها .. نكون وحدنا دائماً .. تلتصق بى أكثر من اللازم .. تسأل أسئلة خارجة عن المقرر بحجة تدريبها على النطق ، إلى أن قالت مرة :

- أى لف يو ماى تيتشر

فاجأتنى وقالت : دو يو ميك إنى لف وز سم ون بيفور .

ولم ترجمنى حين قالت : أنا تعجبني شخصيتك قوى . يا أستاذ ..

حاولت إيقافها بشكل مهذب .. لكن أنفاسها كانت تلهب وجهى .. قالت

لى :

- الحياة أهم من الإنجليزي والحب أهم من الحياة .. مش كده يا

أستاذ ..

جسمها له سطوة ورائحة وصهد ، أظل طول الوقت أبتلع ريقى الذى لا أجده وأدخل فى بعضى .. تتجاسر وتمسك يدي بكفها الطرية ، وأنا عيني دائماً على شفيتها المتوردتين .. أعصابى تلتفت تماماً ، فالبنات لذيذة وتحاول فى جلستها ومشيتها وملابسها أن تغويني .. الأرجح كانت تنوى تدميرى .. رغبتي فيها تتصاعد كل مرة ، لكن هنداً فى خاطرى وكذلك زميلتها ، كما أن سمعتي تهمنى وأنا حساس تجاه ذلك .. ملعون أبو كل هذا .. قررت أن أتنازل قليلاً عن أصنامى وأترك نفسى على سجيبتها . فوجئت بهند تقول لى :

- لا تذهب ، اتفقوا مع مدرس آخر وتركوا بقية حسابك معى .

حاولت التلصص بعد ذلك للإمساك بالسبب الحقيقى فلم يصلنى شئ .. انتهت التجربة قبل أن تبدأ . الغريب أن البنات بعد أسبوع اتصلت بى طالبة أن أعود وإنها اتفقت مع أهلها على ذلك . قلت لهند :

قالت : طلقنى .

طويلا تتأملنى أُمى كلما زرتهم يومى الخميس والجمعة . ملابسى هى ذاتها تقريبا كل مرة . تسأل عن طعامى ، ولماذا أنا شاحب اللون ، وأين ملابسك الجميلة ؟ وإذا كانت قد بليت أو قدم العهد بها لماذا لا تشتري الجديد؟ .. طول عمرك شيك .  
أه يا أُمى .. أه .

كل شىء فقد المعنى ، وانعدم الأصدقاء أو توزوا . والأدق تحلوا مثل المعانى .. لم أكن قد فقدت الأمل حتى بعد الهزيمة النكراء برغم الشرخ العميق الذى أصابنى عقلا وروحاً . الإرادة مازالت بعافية وانتهى تقريبا وقت الكلام والتصريحات الطنانة .. دقت ساعة العمل وعلا الإيقاع .. تسلس فيروس الأخلص والجديدة تغيير قيادات الجيش . معركة رأس العش . القنطرة .. بور فؤاد . تدمير المدمرة إيلات . ضرب ميناء إيلات . معارك بالطائرات .. عبور يومى ثم بناء حائط الصواريخ . لم يعد خط بارليف مانعا مرعبا ولا حتى القناة .. الجنود يتنافسون إلى درجة العراك طلبا للعبور والتأثر ثم توقف كل هذا .. مع رحيل الرجل .. كل شىء الآن غارق فى الصمت إلى حد التعفن .

لا بد أن أكسر هذا الحصار من أى نقطة .. توصلت بعد حوار متعثر إلى حتمية الزواج .. تحدثت إلى أم هند صاحبة الكلمة .. رفضت الفكرة ، ليس هناك زواج إلا بعد أن يكتمل كل شىء حتى شبشب الحمام وفوطة المطبخ واللمبة السهرية .

بدأت هند كأنها متواطئة ومستسلمة لما هو قائم ، فاقدة لعقلها وحيويتها ربما بسبب هيمنة الأم على كامل الوضع . المال والجهاز والأفراد والمكان حتى الهواء ، الأم بالنسبة لعالمى كأمريكا .. جميلة وقوية ومهيمنة وصفيقة ومكشوفة الوجه وعنيدة ولا تريد أحدا على الأرض غيرها وأنا مصر أو العرب .. إننى أهلوس معظم الوقت حتى وأنا نائم . سابح فى الفراغ والضباب .. النقطة الضعيفة فى كل تلك الحلقة الحديدية التى تضيق رويدا رويدا إلى حد إرغامى على الانفجار ، هى الزواج .. نعم .. الزواج .. طعام وراحة ونوم وحب وإنجاب ومتعة وتنفيس وخلق عالم صغير أدخله فرارا من عالم كبير قاس ومعقد .. أفتقد كل اللغات الصالحة للتعامل معه .. هكذا

تصورت .

فاتحت هندا فى الزواج دون موافقة أسررتها ، نحن عقدنا القران منذ عامين ، ومارلنا تحت الاحتلال . والدتك تحتل كل شىء .. لابد من الهروب اللانق بنا ، وهو بعض حقنا .. الإجابة تائهة مثل نظراتها .  
- موافقة .. لكن ماما . ربما تسقط .. نعم . لابد أن نتزوج .. لكن ماما .. أنا خانفة جدا عليها .

مضى الوقت الطويل ونحن فى الشوارع وفى الضياع .. اختفت هند فى الفراغ والضباب . عدت ألح . أخيرا وقفت وهى ترتعد من هول ما أفكر فيه . قلت لها :

دبرت الأمر .. خاننتى النواحي المالية . سندخل فى بيتنا الذى لا يعرفونه .. سندخل على العفش العزابى .. أصرت هند على شرط واحد هو أن أبلغهم بزواجنا قبل أن تاتى معى . وافقت . اتصلت بزواج أمها فى الورشة . قلت بشكل تليغرافى :

- سافرت أنا وهند .. سننتزوج الليلة بالاسكندرية . ألف مبروك قبل أن يفتح فمه بكلمة ، أغلقت السماعة .

معى مشت هند تقدم رجلا وتؤخر رجلا .. حاولت تجهيزها نفسيا .. حدثتها عن قرارنا الجرىء وبدء حياتنا المشتركة التى تمنيناها منذ سنوات .. كان لابد أن نقدم على هذه الخطوة ، لا أحد يهتم بك أو بى . أمرنا لا يعنى أحداً .. سنظل هكذا فى العراء والعمر ينقضى فى انتظار مالا يجيىء .. فلسطين تنتظر أيضا أملها الساكن فى قلوبنا ونحن جميعا ننتظر .. العملاق الأعمى لا يرضى إلا إذا أكل اللحم .. لحم الأطفال ، وإذا أكل الأطفال يطلب طبعاً ماء النهر ، والنهر يجرى فى الأرض . والعملاق حلم بانه لن يبصر إلا إذا امتلك الأرض .

اشترت الطعام والشراب والفاكهة والعطر والملابس الداخلية المؤقتة لى ولها .. ولم تكن لنا حاجة إليها ، فقد لبسنا الملابس الكثيرة والثقيلة أياما طويلة حتى كتمت أنفاسنا .

بتردد بالغ سعدت السلام شاردة ومرعوبة .. أعماقها ترفض وأنا أوصل الحديث التبشيرى عن الأيام المقبلة .. عن الثمرة التى أن أن نقطفها . عن الخلاص والحرية .

وضعت الطعام وأطلقت الموسيقى الهامسة كان فيما أظن شريطا يتضمن بعض المقطوعات لستراوس وموزارت .. أضأت النور الخافت وارتديت بيجامة حريرية وطلبت منها أن تغير ملابسها فأبت .. عدت أحاول تذكيرها بما مضى من العذاب والصبر والأوقات المرة وأملنا فى أيام مختلفة .. أصرت ألا تخلع قطعة ، وألا تأكل لقمة وألا تتزوج .. شربت العصير فقط مضغت بدون نفس نصف تقاحة ، لم تحاول أن تقتفى أثر حواء .

جلست فى الركن ترقب كل حركة . شاحبة اللون .. زانغة العينين كقطعة تتأهب للفرار .. أصابنى الاضطراب ، سألتها عن سر موقفها غير المفهوم ، قالت:

- لن ندخل ، نحن نهدهم فقط .

- نهدهم !! هل هى تمثيلية؟! ويعد أن نهدهم؟

تنهدت وهبطت إلى الأرض ، ماذا أفعل؟ ما الغرض إذن من كل هذه المغامرة؟ الساعة الآن العاشرة مساء .. هل سنظل هكذا بلا أى معنى ولا نور ولا فعل ولا حتى نستطيع لعب الورق أو الشطرنج .

دقائق مرت بعد العاشرة وأنا مغمور بالتفكير فى موضوع التمثيلية التى تحدثت عنها هند وتذكرت تهديد عبدالناصر بالهجوم على اسرنايل ، نون أن يفكر جديا فى الهجوم .. هل مجرد التهديد بالقوة يمنع الحرب التى كانت تنوى شنها على سوريا؟

فجأة انفتح باب الشقة بضربة قوية ساحقة حطمت الشراعة الزجاجية بعد اصطدامه العنيف بالحائط .. اندفع إلى حجرة النوم التى نجلس فيها مكبلين بالخاوف والحيرة نحو ستة رجال ، أربعة لا أعرفهم أمسكوا بى ، وظهر من خلفهم رجب زوج والدة هند الميكانيكى .. مستحيل .. كان معهم جابر .. رجلى ومساعدى الأول .. أمسك رجب بهند وسحبها وسألها وهو يميل على أذنها :

- هل لمسك؟

همست : لا

- قولى

ردت بحدة : قلت لك .. لا

حاولت أن أتخلص من الرجال الضخام الذين اعتصروا ذراعى واوشكوا

على خلعهما فلم أستطع حتى التقاط أنفاسي . اقترب مني رجب بوجهه الكالح الملطخ بالشحم تسبقه رائحة البنزين والسيولار . ويبدو أنه لم يجد ما يقوله ، لكنه نظر إلى بازيراء وغضب .. هب واحد من الرجال الأربعة وهو يرفع يده إلى أعلى إشارة إلى أنه مهيمن على الموقف . سحب رجب نظراته مني ، وقال لهم :

- بنا يا رجالة ..

حمدت الله أن سكان الشقة المقابلة لم يكونوا بها منذ يومين .. كانت خطتي قد اعتمدت على عدم وجودهم خاصة أن السيدة تتمتع بفضول خرافي يدفعها لمحاولة معرفة مجرد فتح باب شقتي أو خروجي أو محتويات الكيس الذي بيدي .

جلست في مكاني مبتلا وحائرا .. ما هذا الذي حدث ؟ كيف عرفوا مكان الشقة ؟ ما علاقة جابر بهم ؟ من هؤلاء الرجال ؟ كيف التقوا به ولماذا هو بالذات ؟ .. حالة ذهول كاملة .

جلست على الأرض خائرا وممددا . لم أستطع أن أنهض لأغلق الباب . لا أملك أي قدرة إلا على الذهول .. الأوراق ممزقة .. الضياع عاد مع الجراد . سكت شتراوس وموزارت رعبا .

ما الذي يجري ؟ .. من أنا ؟ في أي طريق أسير ؟

كل الإجابات عمياء والأسئلة وحدها الميصرة . ما الفرق بين حالتني والبلاد؟!

بعد نحو نصف ساعة وأنا على حالي المبعثر ، وصل جابر .. الرجل الأثير لدي . قال :

- سامحني ، لم أكن أعرف أي شيء عنك أو عنهم .. وصل عم رجب وحده إلى الاستديو فوجدني .

سأل عن بيتك لأنه يحتاجك في أمر هام .. قال : والده نقل إلى المستشفى في حالة خطيرة . اتصلوا بنا وليس لديه تليفون . ركبت معه . فوجئت بالسيارة نصف النقل تتبعه وبها هؤلاء الرجال ثم تقف وراءنا تحت البيت ..

أنت إذن يا جابر الوحيد من كل البشر من عاونهم .. صحيح كنت تريد أن تخدم لكن هذا ما كان .. تركته يعتذر ساعة ويقبل رأسي ثم غادر ، وأنا مكاني لم أبرحه

كم أنا هش ! .. كم أنا هش '

لم تذكر أن جابر قال لك :

- كان من حقا أن تبلغ الشرطة ، وتحذر لهم محضرا بالعدوان عليك وزوجتك ، خاصة أنك كاتب كتابك .

بقيت حتى الفجر تلوم نفسك ، مرة لأنك أقدمت على ما فعلت ومرة لأنك لم تبلغ الشرطة ، ولكنك رفضت بسرعة فكرة الشرطة قائلاً:

- هل كان على أن أتزوج بالبوليس ، هل كان على أن أسترد زوجتي بالقوة كما كان عبد الحكيم عامر يود استرداد سوريا بالقوة العسكرية ورفض عبدالناصر ذلك ، حتى لا تكون حرباً أهلية ووصمة تاريخية فى صفحة العلاقة الناصعة ..

عادت الفكرة تلح عليك غيظاً ورفضتها ، لكن لومك لنفسك لمحاولة حسم الموقف المعقد كانت بالغة السوء ، وكما قال لك جابر أيضا ، لم تكن معدة بشكل جيد ، حتى هند لم تكن مهية من الأعماق بدليل أنها خرجت مع القوات الخاصة بون كلمة ، وكأنها كانت تنتظرهم .

لماذا لم تشكك فى أن تكون هند قد سربت إليهم أى خبر؟ .. ها أنت على قارعة الحيرة والفشل والعجز تجلس القرفصاء بون أن تحسم شيئاً . الضباب يملأ المكان ، بالضبط مثل أرض المعركة فى واترلو .. فى عينيك نفس نظرات نابليون عام ١٨١٥ .. الأسى العميق يتجول على أنقاض الهزيمة ، وكانت أعماقك بالضبط كعماق نابليون الذى تعود أن ينتصر وكذلك عبدالناصر ، فإذا هو محاصر بالأعداء والجليد والضباب وأقدامه ورجاله تهبط فى أغوار الوحل ولا يملك القدرة على الخروج منه ..

كنت على ثقة أنهم لن يستطيعوا بلوغ مخبئك ولن يعثروا فى الاستديو على من يدلهم ، فمن يعلم لن يكون هناك بالليل ، ويتأخر جابر بالصدفة لبعض العمل فيلتقوه ، ولم يكن غيره فهو الوحيد الموجود ، وهو الوحيد الذى يعلم وهو الوحيد الذى يخشى عليك أن يلمسك جناح بعوضة ، فإذا به يحمل الرجال إليك ليقتحموا بكل شراسة عربتك يوم زفافك السرى الذى لم يعلم به مخلوق حتى من تقدمهم إليك .

## نجاه يونس

شغلتنى الرغبة فى معرفة شعورها .. حاولت أن أسبق المعرفة بالتصور .. هل هى غاضبة منى أو مشفقة على ، أو مقدره لما فعلت ؟ هل ترى فيه خطوة مستحقة أم طيش وحماسة أو هما معا ، فربما يكون لك حق لكن سبيلك إليه كان هشاً .

هذا عن رأيها فما الشعور ؟ هل تأثر الحب ؟ هل تخلخل بناء رفعناه سنوات ؟ وهل نزلت وردة العشق ؟ هل قل الماء فى النبع ؟ لابد أن أتشمم الأخبار .. وكيف ألتقط أى خبر ، وقد انقطعت عن العمل فى أجازة ؟ .. وعجزت تماما عن الوصول بنفسى لآى معلومة .. كلفت زميلة لا تربطها بها صداقة كى تسأل عنها ، ولو بحجة إعادة كتاب إليها ، فلم تحصل على إجابة وأحاطوها بالأسئلة ولم يكن مفر من ذهابى إلى عم رجب زوج أمها الذى استقبلنى بشيء من الحياد الذى يخفى عطفاً .

- أين هند ؟

- سافرت لتقيم فى القرية

فكرت أن أذهب إليها فى القرية التابعة للمنصورة ، لكن كيف أسأل عنها وكيف ألقاها؟ أسرعرت بكتابة خطاب باسم هدى زميلتها تقول لها فيه، «ساكون بالمنصورة يوم كذا «بعد أسبوع» أتمنى لقاءك لأمر هام ومصيرى خاص بالعمل .. سانتظرك فى الثانية عشرة بكازينو الشجرة المجاور

لكوبرى طلخا على النيل» .

فى الساعة الثانية عشرة من اليوم المحدد كنت أقف بالقرب من الكازينو  
أتأمل الداخلين .. أخيراً لمحتها وحيدة تاتى .. أسرعت إليها .. لم تدهش ..  
قالت أعرف أنك صاحب الرسالة .

- وحشتينى،

تنهدت وتحولت ببصرها إلى النيل .. أمسكت يدها فتركتها لى وعادت ..  
تنظر إلى النيل ، كم شرب هذا النيل من نظرات المعذبين !

قلت لها : لا داعى للحديث عما فات .. المهم أن تخرجى من هذا السجن  
.. ارجعى إلى عملك وإلى .. ارجعى إلى فإن المعانى فقدت الكلمات ،  
والأشجار محرومة من العصافير .. ارجعى إلى يا هند فإن الشفاه جفت  
والقلوب تصحرت لندرة البسمات . والورود هجرتها العطور .

هزت رأسها فى أسى .. كانت كلماتى يعلوها الصدا .. كمن يحاول  
إعادة الذاكرة لمن فقدتها كنت . واصلت : تصورى أنى لم أعد أستطيع  
القراءة .. الكتب لا تتطق ولا تجذب ولا تبوح .. الأفكار قعيدة والإلهام معطل  
والخيال غائب ، وأغلب الروى زاحفة .. ارجعى إلى ، فبدونك القاهرة مكان  
سقيم والأصدقاء بلا حرارة ، والعمل طعمه مر وأفكر إذا لم تعودى أن أنهى  
كل علاقتى بالقاهرة وأعود إلى بنها ويسدل الستار على كل ما جرى فيها  
وانزاع طوال سبع سنوات.

أخيراً تركت عيناها النهر وحدقت فى طويلا ثم تسرب إلى ملامحها شبح  
ابتسامه .

قالت : من قلبك؟

قلت : من قلبى وعقلى .. لا بد من تحديد سكة

قالت فيما يشبه اليأس : السكك كثيرة

قلت : خطأ أن تكون حياتنا معلقة بسكك كثيرة .. لا بد أن نختار

تنهدت وهزّت رأسها .

- لازم يا هند تحددى الطريق

- حدد وأنا معك

- لست معى .. أنت مع أمك.

كشرت : أرجوك

حاولت تخفيض نبرتى

- يا هند .. استعيدي شخصيتك القوية التى جذبتنى إليك ، لماذا تحولت

هكذا ؟ .. لماذا تسربت الإرادة من يديك؟

- الظروف

- لا أعترف بها .

- بماذا تعترف إذن ؟

- بالهدف .. بالأمل .

ابتسمت فى شبه سخرية .. تابعت :

- الحياة كلها تعيش بالأمل .. لا خطوة واحدة يحرزها الإنسان بدونه ،

ولا بد للأمل من إرادة

تحولت إلى وحدقت فى وجهى ، وقالت بحنان

- يا فؤاد أنا أريد منك أن نخلص .. لكن الظروف

- لا أحب هذه الكلمة .. أرى أن الإرادة أقوى .. خاصة إذا توفر الحب

ابتسمت وقالت : الحب..

قلت بتاكيد : الحب يا هند .. أرجوك تعالى نرؤى شجرته ثانية ونتحدا ونتواصل .

بعد أسبوعين رجعت إلى العمل ، والتقىنا عدة مرات على مدى شهر حتى أبلغتني رسالة والدتها بدعوتى على العشاء .. كنا فى آخر مارس ١٩٧٢ ، أدركت أنها تدعونى لعودة الود والقيام بمهمتى فى رعاية أولادها المقبلين على الامتحانات .

بذلت الجهد الأقصى مع الأولاد لعل الأم ترضى وتهتم بقضيتى مثل جهود العرب التى تبذلها بسخاء لخدمة الانجليز والأمريكان من أجل عودة المسجد الأقصى وفلسطين الغالية . لكن هيهات .. القوة تغرى بالعبث بمصانير الآخرين .. الأمل رغم ذلك ينتعش بوعود حماتى الجميلة غليظة اللحم والقلب . بعد الامتحانات لأبد أن تكونا فى بيت الزوجية إن شاء الله .  
تمر الأيام غير عابئة بى والامتحانات تنتهى والنتائج تتوالى بالنجاح .. الكل لا ينكر فضل من أخذ بأيديهم وسهر الليل يشرح ويفسر ويعيد ويزيد ويثقب الرؤوس ليغرس فيها المعلومات .

أخيرا اكتمل الأثاث عند النجار ، ولم يبق غير دهان الصالون .. جلسنا وكتبنا قائمة المدعويين من أهلى وأهلها ، وطبعت الكروت الفخمة وحجزت قاعة فوق مركب حالم ومتأهب لإسعادنا .. راجعنا كل شىء يوم الأحد السابق على ليلة الدخلة يوم الخميس .

قلت لحماى : أظن كل شىء تمام .

قالت : لم يبق غير خمسين جنيتها للنجار .

قلت بهدوء شديد : ادفعيها له  
رفضت . أحسبها تداعبني ، أكدت عليها . أعلنت بوضوح إنها لن  
تدفعها ، ولن تنقل الأثاث إلى شقتي إلا بعد سداها .  
قلت : إنني أفلست تماما .

قالت : لا دخل لي .. اقترضها من أى شخص .  
أحاول معها دون أن تتحرك قيد أنمله .. تغيرت كيمياء جسدى ودق قلبي  
بعنف .. سعدت النار إلى رأسى .. توترت أعصابى .. دهشت لحالى . لم  
أكن هكذا أبداً .. لم تمر بى مثل هذه الحالة . أنا لا أثور فى العادة إما  
أقبل أو لا أقبل .. ولكن لا تملكنى هذه الحالة التى تشبه البركان وتدفعنى  
لأن أحاول - كما أنا الآن - أن أنقض على خصمى .

حالى تسوء والسيدة المليئة تستفزنى وتتحدث بلا مبالاة .. ابنتها تنظر  
إليها فى استعطاف دون أن تتطوق كلمة .. نهضت فجأة . كدت أقفلها بكوب  
الشاي الساخن . لم أستطع . أسرعرت إلى الباب . ركضت هند ورائى  
ونادتنى . لحقت زراعى . أفلته من يدها وأخذت أجرى . كنت مختنقا .  
ضلوعى تكاد تتحطم . رأسى أوشك على الانفجار . حالة غريبة تلبستنى .  
أجرى .. الساعة الواحدة بعد منتصف ليل الأحد .. لم أتوقف إلا عند  
الجامعة . اكتشفت أنى ألقط أنفاسى بصعوبة ، وأنى جريت كثيرا .

مشيت بحماس حتى ميدان الجيزة ، اقتحمتنى فكرة أن أحصل على  
الجنيهات القليلة من أى صديق .. مسالة يسيرة ، لكننى رفضت كل الأفكار  
المماثلة وأعلنت بل أقسمت أنى لن أدفع مليماً ، مهما جرى .. عدت أجرى ..  
كان لابد أن أجرى حتى لا أقترف ما أندم عليه .. الغضب كان شاملا

وعميقا . جبل ضخّم لعله تراكم على مدى السنين وظهر الليلة .. ما الذى يحدث؟

لم أكن أفكر وأنا أجرى .. لكننى كنت أتساءل :

- ما هذه الزيجة وما هذه الأسرة ، وما هذا الذى يحدث؟

ولماذا لا يدفعون حتى هذا المبلغ الهزيل ؟ لعل الأم لا تريد من قلبها زواج

ابنتها . تريدها معينة لها فى تربية أختوتها .

انتقلت إلى نوع آخر من الأسئلة:

- هل طبيعى هذا الزواج؟ وهل سيتحقق الاستقرار الذى أبحث عنه ؟

وكيف ستكون علاقة الأم بابنتها ؟ .. هل ستكون علاقة أم لها حياتها

بأبنة لها حياة جديدة ؟ أم أنها ستكون علاقة أم تعيش بالكامل مع ابنتها ،

تشاركها كل أفكارها وتواصل فرض أوامرها .. ناكل كما تشاء ونفكر كما

تفكر ونلبس ما تريد ونخرج وندخل حسب رغبتها .. لا .. لا .. لا .

عندما بلغت الشقة كنت قد عزمّت ألا أتزوج مهما حدث .. قرار من

القرارات المفاجئة القوية والعجيبة .. هنأت نفسى عليه طويلا ، وإن كنت قد

علمت أن العناية الإلهية تدخلت تلبية لشكوى مقدمة ضدى من رجل مهم ..

فى شكل أدعية متصلة ، تعقبها صلوات .. أدعية وصلوات .. ما الذى يجرى

معى وما الذى يجرى على الأرض ، وما علاقة السماء بالأرض ؟ هل هى إلى

هذه الدرجة حميمة تنسجها جنوده بالصبر والأمل تحت عيونهم .. سبحانك

ربى إنى كنت من الظالمين ، فنجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين .

علمت بعد ذلك أن أبى - كما قالت أُمى - كان يصلى طوال هذا

الأسبوع بشكل متواصل ويدعو ألا يكون لى معها نصيب .. كنت قد قلت لهم

فى زيارتى الخميس الماضى أنى سأتزوج يوم الخميس القادم والحفل  
سيكون بمركب قيس ولىلى أمام حديقة الأندلس . قالت أمدى :

- ظل أبوك من ساعتها يصلى حتى اتصلت مساء يوم الاثنين وقلت :
- لن يكون هناك فرح .. لن أتزوج «هند» .

دعانى أحمد المصرى بعد شهر ليسألنى بعد أن شككت له جنونى وعزمنى  
على تخريب بيت تأسس بالحب والصبر .

- لماذا لا تود أن تكمل مع هند ؟

قلت : أسباب كثيرة

سألنى : لا أمل ؟

قلت : انتهت تماما كل الآمال .

قال : هل تحب أن تجلس معها ؟

- هل ثمة داع ؟

- أتصور هذا

- موافق

- إذن السبت القادم الساعة السابعة .

- مساءً ؟

- صباحاً .

فى الموعد حضرنا . جلس المصرى على رأس ترابيزة الاجتماعات فى  
مكتبه . أنا إلى اليمين وهى إلى اليسار .. قال لها :

- قبل أن ندخل فى التفاصيل أسأل سؤالاً .. لو ذلنا كل العقبات .. هل

لديك استعداد لإكمال الطريق معه ؟

قالت على أفور - أسأله هو

استدار نحوي وسألني :

- رأيك

باندفاع قلت : لا

التفت إليها وسألها :

- ما رأيك ؟

وقفت وقالت له : عن إزتك

هكذا انتهى ربما أسرع اجتماع في الدنيا .

خرجت من مكتب المانون ، دخلت مكتب شركة مصر للطيران وحجزت تذكرة إلى طرابلس .. كنت أود السفر إلى أوروبا ، في جولة أزور خلالها إيطاليا وفرنسا وسويسرا وهولندا وغيرها .. كنت مقلسا تقريبا ، فضلا عن أن المسموح للخروج به من العملات الأجنبية كان ضئيلاً للغاية . واقترح على البعض السفر إلى ليبيا والعمل بها عدة أشهر ثم السفر منها إلى أوروبا .

نمت نوما عميقا .. قبل الفجر حلمت أني أمشي حافيا في صحراء والرجل العظيم الذي رحل يكاد يسبقني بخطواته الواسعة ، وكلانا في ملابس بيضاء تشبه أودية الإحرام .. معنا عنزتان بيضاوان على بطنيهما يقع سوداء . مشينا كثيرا تحت شمس ساطعة وقاسية نبحث عن الماء لنا وللعنزتين .. الأبار التي مررنا بها كانت مطمورة ، نشعر بالجفاف في حلقينا ولا نملك القدرة على الكلام . توجهنا صوب الجبل ، كانت على سفوحه بعض الأشجار . لا بد هناك بئر .. عندما وصلنا إلى السفوح

المخضرة استقبلنا الظل والتفت حولنا النسيمات الطرية ترطب وجوهنا  
الشقيقة .

كانت هناك آثار ندوة على الأرض .. مضيئا نبحث عن مصدر الماء حتى  
عثرنا على خيط رفيع من الماء . هجمنا عليه . لكنه لم يرو غلطنا ، فأسرعنا  
تعبه حتى دخل بنا إلى كهف .. رفضت العيزتان الدخول ورفضت . دخل  
لرجل الطويل الأسمر . وبقيت أمام الكهف أشرب من السرسوب الرفيع ..  
م يخرج الرجل حتى غربت الشمس . أسرعت أبحث عنه ، لم أجد له أثراً ..  
تلكنى الحزن وانقبض قلبي . وقلت : حال الدنيا .

خرجت فلم أجد العيزتين . بحثت عنهما بلا جنوى ، ولما رفعت رأسي  
إلى السماء وأوشك الدمع أن ينثو من عيوني رن بقوة جرس المنية فابتبعت .  
كان جلقي كالخطبة . استدرجتني نفسي لأفكر في كتاب الإسبان الذي  
تتوالى عليه في كل يوم صبور وأشكال وكلمات ورموز وبشر وحوادث  
وعفاجيات وحيوات وعبر .. مواقف بلا حصر كلها تحاول أن تشكل علامة  
لروحه المخيوة ومصيره المجهول .. ولا يزال السؤال التاريخي قائما نون  
إجابة : هل تملك مصيرك ؟

تم الجزء الأول

من سيرة الروائية

## المحتويات

- من أنا
- الفصل الأول : خطبة الوعي
- الفصل الثاني : عائلة عجيبة
- الفصل الثالث : روكسى
- الفصل الرابع الضربة القاصمة
- الفصل الخامس طانرتى الورقية
- الفصل السادس : نساء فكرى
- الفصل السابع : فوزى
- الفصل الثامن : بهجة الخمسينيات
- الفصل التاسع : الحب الأول
- الفصل العاشر : عبدالناصر
- الفصل الحادى عشر : عامل اضاءة
- الفصل الثانى عشر : هند
- الفصل الثالث عشر : ٦٧
- الفصل الرابع عشر : أحمد المصرى ويوسف افندى
- الفصل الخامس عشر : أخيرا .. الزواح
- الفصل السادس عشر : جابر
- الفصل السابع عشر : الجبر والاختيار
- الفصل الثامن عشر : الرجل
- الفصل التاسع عشر : مرسى مطروح
- الفصل العشرون : الموت فى أشنع تجلياته
- الفصل الواحد والعشرون : اختطاف
- الفصل الثانى والعشرون : نجاة يونس



٥ أبريل ٢٠٠٨

الجمهورية

مصطفى نبيل



رئيس التحرير

مجدى الدهاق

رئيس مجلس الإدارة

عبد القادر شبيب



## فؤاد قنديل

- مواليد القاهرة فى الخامس من أكتوبر ١٩٤٤ لأسرة من بنها - محافظة القليوبية.
- حصل على ليسانس الفلسفة وعلم النفس عام ١٩٦٩ من جامعة القاهرة.
- عمل باستديو مصر منذ عام ١٩٦٢ وحتى ١٩٧٧ ، ثم الثقافة الجماهيرية حتى تقاعده عام ٢٠٠٤ .
- نشر قصصه ومقالاته الأدبية منذ منتصف الستينيات فى الصحف المصرية والعربية.
- من رواياته : السقف ، الناب الأزرق ، عصر واوا ، بذور الغواية ، روح محبات ، حكمة العائلة المجنونة ، قبلة الحياة.
- من مجموعاته القصصية : العجز ، غسل الشمس ، شدو البلايل والكبرياء ، الغندورة ، زهرة البستان .
- من دراساته : نجيب محفوظ كاتب العربية الأول ، محمد مندور شيخ النقاد ، إحسان عبدالقدوس عاشق الحرية ، أدب الرحلة فى التراث العربى ، فن كتابة القصة ، صناعة التقدم فى مصر ، ثقافة المصريين .
- أصدر العديد من الروايات والقصص للأطفال .
- حاز الكثير من الجوائز .. آخرها جائزة الدولة للتفوق فى الأدب ٢٠٠٤ .

## هذه الرواية

□ «المفتون» هو الجزء الأول من سيرة روائية من المزمع أن تقع في عدة أجزاء، وفيه يتناول الروائي الكبير فؤاد قنديل مرحلة تأسيسه الأدبي والوجداني والوطني منذ عام ١٩٥٤ مع خبطة الوعي التي أفضت إلى المراهقة الفكرية والعاطفية بالتوازي مع مراهقة سياسية عاشتها مصر وحتى عام ١٩٧٢ .. ما يقرب من عشرين عاما تقلب فيها صباه وشبابه، كما تقلبت روحه وأمانيه على صدمات ملتهبة واكتشافات عذبة.

في هذا النص الغاتن يسيل الكاتب عشقا للحياة، ويسرد علينا يلغته الشاعرية بعض تفاصيل هذه المرحلة الساخنة المحتشدة بالحب والجنس والحرب والنجاحات والإخفاقات. إن طزاجة التجرية وتدفق العبارة النابضة بوهج المعايضة المباشرة، وغرابة الأحداث حالت دون أن ينجأ الكاتب إلى الخيال، كما عودنا، لأنه ينقل لنا بدقة وقائع من حياة حقيقية أخصب من الخيال .

ومما بلغت النظر تلك الجسارة غير المسبوقة في الاعتراف بالأخطاء والنقائص التي اعتاد الجميع في سيرهم تجاهلها، وقد أفاض الكاتب فيها بصدق فريد ، سوف يدفع بالنص إلى صدارة السير الروائية الممتعة.

## أحدث إصدارات روايات الهلال

العدد	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	الثمن بالجنيه
٧٠٠	جنه مجنون	اسامة انور عكاشة	ابريل ٢٠٠٧	٥,٠٠
٧٠١	ن	سحر الموجي	مايو ٢٠٠٧	٨,٠٠
٧٠٢	بذور الشيطان	لينا كيلاني	يونيه ٢٠٠٧	٥,٠٠
٧٠٣	الفراق	أحمد شرف	يوليو ٢٠٠٧	١٠,٠٠
٧٠٤	ثقوب في جدار الزمن	عواطف أحمد البتانوني	أغسطس ٢٠٠٧	١٠,٠٠
٧٠٥	قبل آدم	جاك لندن	سبتمبر ٢٠٠٧	٥,٠٠
٧٠٦	حرمتان ومحرم	صباحي فحماوي	أكتوبر ٢٠٠٧	٦,٠٠
٧٠٧	رجل وأربع نساء ج١	ابراهيم يسرى	نوفمبر ٢٠٠٧	٩,٠٠
٧٠٨	رجل وأربع نساء ج٢	ابراهيم يسرى	ديسمبر ٢٠٠٧	١٠,٠٠
٧٠٩	مسألة وقت	منتصر القفاش	يناير ٢٠٠٨	٥,٠٠
٧١٠	لعبة الحب	مصطفى بيومي	فبراير ٢٠٠٨	٥,٠٠
٧١١	العلم	فتحي إمبابي	مارس ٢٠٠٨	٩,٠٠

بطاقة فهرسة

الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

قنديل ، فؤاد

المفتون ، فؤاد قنديل

ط ١-١٧٤ ص ، ٢١ سم (روايات الهلال)

تدمك ١ - ١٢٩٨ - ٠٧ - ٩٧٧

١ - القصص العربية

رقم إيداع ٨٢٨٦ - ٢٠٠٨

روايات الميراث

# الأفتدي



للروائي

**محمد ناجي**

تصدر: ١٥ مايو ٢٠٠٨

رئيس التحرير  
محمد الدفاق

رئيس مجلس الإدارة  
عبد القادر شبيب

# اشهر الحوادث والقضايا



طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة - الطابع ١٠٠٨٠ شارع المنطقة الصناعية  
بالعباسية - منافذ البيع ١٦٠١٠ ش كامل صدقي العقالة - شارع الاسحاقى بمشية البكرى ووكس مصر الجديدة  
القاهرة ٦٨٢٢٧٩٢ ٠٩٠٨٤٥٥ ٢٥٨٦١٩٧ فاكس ٢٥٨٦٦٥٠ ٢٥٨٦٠٠٢ ٢٥٨٦٠٠٢ ج.م.ع ١٥ بنوى محرم بك - الاسكندرية